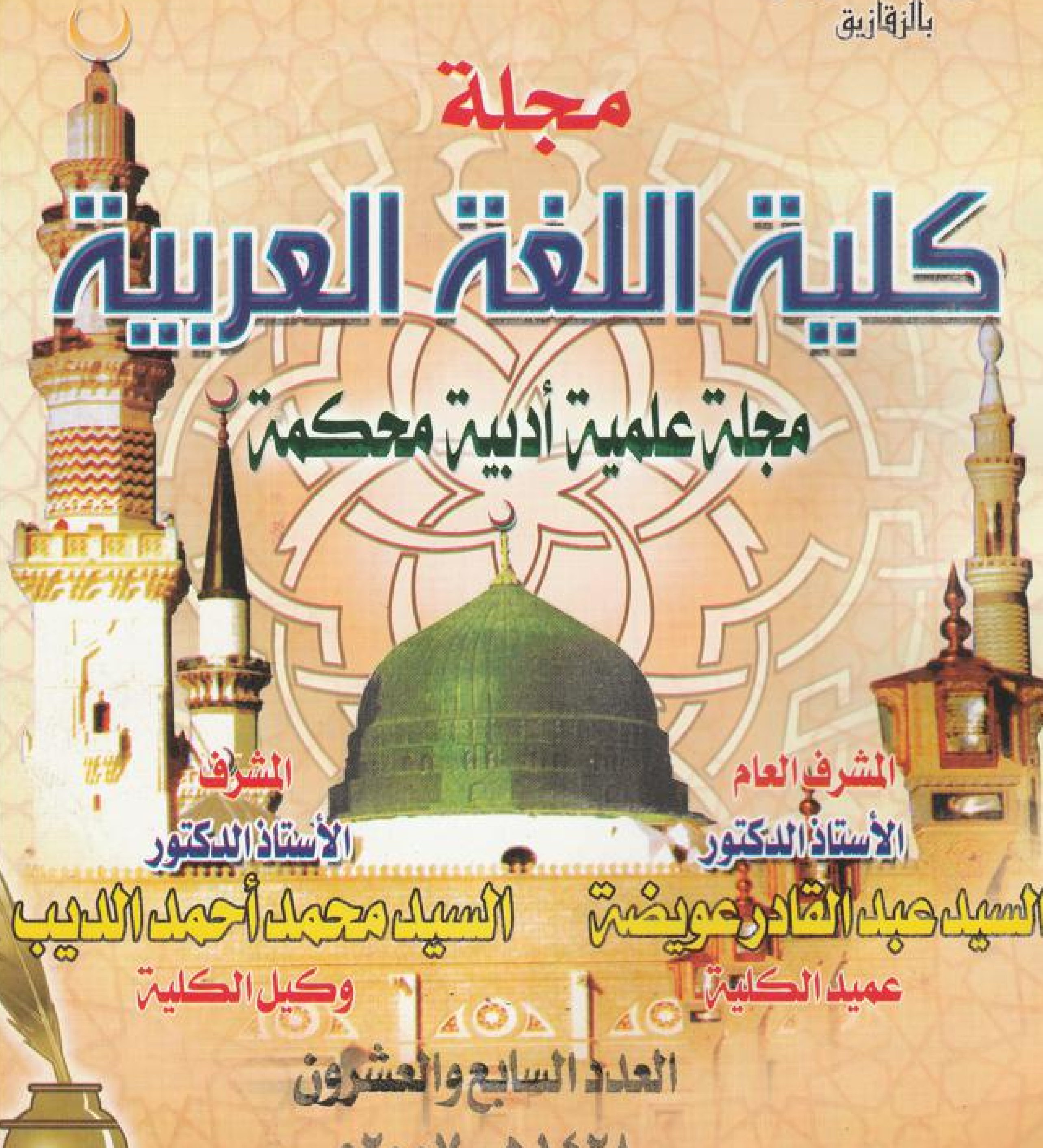
كلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر
بالزقازيق

مجلة كلية اللغة العربية

مجلة علمية أدبية محكمة



المشرف العام
الأستاذ الدكتور
السيد عبد القادر عويضة
عميد الكلية

المشرف
الأستاذ الدكتور
السيد محمد أحمد الديب
وكيل الكلية

العدد السابع والعشرون
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

أثر العربية في أهم اللغــات في آسيا

تأليف الدكتور
سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مستلة
مــن مجلــة
كلية اللغة العربية بالزقازيق
مجلة علمية أدبية محكمة

العدد السابع والعشرون
١٤٢٨هـ ـــ ٢٠٠٧م

أثر العربية في أهم اللغــات في آسيا

تأليف الدكتور
سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أثر العربية في أهم اللغات في آسيا

بقلم
أ٠د / سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلى إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فقد اخترت موضوع ((أثر العربية في أهم اللغات في آسيا))، وأهم اللغات في آسيا قديماً وحديثاً اللغات الفارسية والتركية والهندية – الأوردية، لأنهن من أكثر اللغات انتشاراً وأواسعهن استعمالاً.

وقد اعتمدت هذه اللغات – في نشأتها وشكلها الموجود اليوم – على العربية اعتماداً كبيراً إذ تكوّن الألفاظُ العربية، أكثر من ستين في المائة، من ألفاظ تلك اللغات، كما اعتمدن عليها في المصطلحات اللغوية والنحوية والبلاغية من معان وبيان وبديع. والشعر في هذه اللغات يقوم على أساس العروض والقافية العربيين وقد اتخذت هذه اللغات الخطَّ العربيّ لكتابتها.

ومن أسباب اختياري لهذا البحث ما يلي :-

١- لكون أثر العربية واضح وجلي في هذه اللغات، فإني أردت من هذا البحث بيان صخامة هذا الأثر، بحيث أن هذه اللغات لا تستقيم بدون ذكر الألفاظ العربية.

٢- معظم الناطقين بهذه اللغات كانوا يستعملون العربية حتى

القرن الخامس الهجري، فأردت أن أبين الأسباب التي أدت إلى التحول من العربية إلى تلك اللغات.

٣- معظم المتكلمين بهذه اللغات مسلمون فأردت، أن أبين العلاقة الوثيقه بين الإسلام والعربية.

٤- هذه اللغات، من أهم معابر اللغة العربية، إلى اللغات الأخرى مما يدل عظم أثر العربية في لغات العالم.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد و ثلاثة فصول وخاتمة

المقدمة : فيها سبب الاختيار، وخطة البحث، والمنهج

التمهيد : أهمية اللغة العربية في لغات العالم

الفصل الأول : أثر العربية في الفارسية

الفصل الثاني : أثر العربية في التركية

الفصل الثالث : أثر العربية في الهندية - الأوردية

الخاتمة : وفيها أهم النتائج، التي توصل إليها البحث، ثم أتبعت الخاتمة بفهارس للمصادر والمراجع والموضوعات.

منهج البحث:

سأتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي وفق الطريقة التالية:

١- بيان زمن دخول العربية إلى أصحاب هذه اللغات

٢- بيان مكانة العربية في القرون الأولى من الفتح الإسلامي

٣- بيان الأسباب التي جعلت هذه اللغات تحتفظ بنسبة كبيرة من ألفاظ العربية، بالإضافة إلى احتفاظها بالخط العربي

التمهيد
أهمية اللغة العربية في لغات العالم

تمت الفتوحات الإسلامية خلال فترة تاريخية وجيزة نسبياً، لا يعرف لها مثيلا في تاريخ الأمم الأخرى، إذ لم ينته القرن الأول من الهجرة إلا والدولة الإسلامية، تمتد من جبال البرانس في شمال إسبانيا غرباً، إلى حدود الصين شرقاً، وانتشر الإسلام في هذه الأمصار، ودخلت العربية في هذه المناطق، مصاحبة للدين الحنيف ومؤيدة له، ثم كان أن دخل الناس في دين الله أفواجاً، ويسر على الناس اعتناق الإسلام، أن تعاليمه لا تطالبهم، بأكثر من إعلان الشهادتين، ليصبح المرء مسلماً، ولا تكلفه ترك لغته، بل تقنع منه بحفظ بضع آيات من القرآن، يقيم بها صلاته ويتعبد بها، ولذلك كان انتشار الإسلام في الأمصار، أسرع من انتشار لغته في بادئ الأمر[1].

وبعد تكوين الدولة الإسلامية، اتسعت رقعة اللغة العربية اتساعاً كبيراً، فمع الفتوحات الإسلامية، بدأت الهجرات العربية إلى المناطق المفتوحة، ومع ازدياد الهجرات، بدأ استخدام اللغة العربية في هذه المناطق، ومهد هذا لانتشار العربية في هذه الأقاليم، وقد خرجت بطون كثيرة من مختلف القبائل العربية، واستقرت في أنحاء متفرقة من المناطق المفتوحة[2] وأقبل كثير من المسلمين من غير العرب على تعلم اللغة العربية، وفي سنة ٨٧ هـ[3] عربت الدواوين وأصبحت العربية اللغة الرسمية في جميع مناطق الدولة الإسلامية فهي لغة الدين، ولغة القرآن الكريم، ولغة العبادات، ولغة التعليم.

ولم يمض القرن الأول الهجري، إلا واللغة العربية، لغة التخاطب

---

(١) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية ٢١٢.

(٢) ينظر: علم اللغة العربية ٢٣٩.

(٣) المرجع السابق ٢٤٣، وينظر: العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ٣٢.

والتفاهم بين جميع المسلمين من تخوم الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وقد استمر الأمر كذلك لمدة خمسة قرون.

إذ سادت اللغة العربية، أغلب بقاع العالم القديم، وبرزت لغة عملاقة، تضاءلت أمامها كل لغات الأمم. وفي هذه الفترة ترجمت إليها خلاصة الفكر اليونانيّ والفارسيّ والهنديّ فاستوعبتها جميعاً وزادت عليها[١]، وكما قضى الإسلام على الأديان، التي كانت في المناطق المفتوحة، قضت اللغة العربية على لغات تلك المناطق، وأصبح جميع المسلمين يتكلمون لغة واحدة، وكانت العربية، هي لغة التخاطب والتفاهم بين المسلمين من المشرق إلى المغرب. حتى نشأت الدويلات، التي أحيت اللغات القديمة كاللغة الفارسية، التي قامت بإحيائها الدولة السامانية[٢] في أواخر القرن الرابع.

وحذت حذوها، الدولة الغزنوية، والدولة السلجوقية في القرن الخامس. وبعد اتخاذ هذه الدويلات، التي ظهرت في المشرق الإسلامي، الفارسية لغة رسمية، واقصت العربية عن أن تكون لغة التخاطب والتفاهم بين المسلمين في تلك الديار، أصبحت العربية محصورة في لغة الثقافة والدين، ولكن إقصاء العربية عن لغة التخاطب قد استغرقت زمناً طويلاً إذ بقيت العربية في بعض المناطق إلى سقوط بغداد على أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ.

واللغة العربية أصبحت بعد الإسلام لغة عالمية دولية، منذ الفتح حتى أوائل العقد الثالث من القرن العاشر الهجري، عندما دخلت البلاد العربية ضمن الدولة العثمانية. واللغات العالمية الدولية مرتبة حسب تاريخها هي: اللغة الأكادية، واللغة الآرامية، واللغة اللاتينية، واللغة العربية، واللغة الفرنسية، واللغة الإنجليزية[٣].

---

(١) ينظر: دراسات في اللغة والأدب والحضارة ١٠.
(٢) ينظر: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٤٦٥.
(٣) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية ٢٠٥، واللغة العربية في العصر الحديث ١٤٨.

وقد استعادت اللغة العربية مكانتها في القرن الرابع عشر الهجري القرن العشرين الميلادي إذ أصبحت منذ عام ١٩٧٤م إحدى لغات العمل في المنظمات الدولية(١).

والعربية أوسع اللغات مدى، وأغزرهن مادة، وأوفاهن بالحاجة الحقيقة من معنى اللغة، لكثر أبنيتها، وتعدد صيغها، ومرونتها على الاشتقاق والتوليد، فلو أخذنا مثلا كلمة "كتب" فإنا نشتق منها كاتب وكتاب ومكتبة ومكتوب ومكتب ونجد أن الحروف الأصلية موجودة في كل كلمة من هذه الكلمات المشتقة، وأن معنى الكتابة موجود كذلك، على عكس اللغات الأوربية، حيث لا توجد في كثير من الأحيان، صلة ما بين كلمات الأسرة الواحدة فكتب في الإنجليزية "write" والكتاب "Book" ومكتبة "Library" ولا علاقة بين حروف هذه الكلمات، وهذا ما جعل لغة مثل الإنجليزية، تختلف من جيل إلى جيل، فلغة شكسبير، وهو من أدباء القرن السابع عشر، لا تكاد تفهم عند جمهرة المثقفين اليوم، اللهم إلا المتخصصين في الأدب الإنجليزي، وهذا راجع إلى نمو اللغة بطريقة غير طريقة الاشتقاق العربي، وانقطاع الصلة بين كلمات الأسرة الواحدة في غالب الأحيان(٢).

واللغة العربية أطول اللغات الحية عمراً، وأقدمهن عهداً، ولا يعرف لغة كانت قبل العربية أو معها ثم استمرت مقروءة أو مكتوبة، وهذه من خصائص العربية، إذ نجد أن أبناءها اليوم وبعد ألف وخمسمائة سنة يفهمون أشعار الجاهليين والمخضرمين، كما يفهمون أشعار أبي تمام والبحتري والمتنبي، أو كما يفهمون أشعار أبي العلاء والشريف الرضي، ويفهمون أشعار فحول المتقدمين. ولا يوجد مثل هذا في اللغات الأخرى: ولو أخذنا اللغة الفرنسية مثلاً فإننا نجد اللغة الفرنسية المستعملة في العصور الوسطى، مغايرة كل المغايرة للغة الفرنسية،المستعملة في القرن السابع عشر، وهذه أيضاً مختلفة

(١) دراسات في اللغة والأدب والحضارة ٢٥.
(٢) ينظر :تاريخ آداب العرب للرافعي ١٧١،والفصحى لغة القرآن ١٧.

عن اللغة الفرنسية المستعملة اليوم(١).

واللغة العربية هي لغة المحادثة لأكثر من ثلاثمائة مليون عربيّ ولغة الثقافة والعبادة لأكثر من مليار مسلم، وهي ((إحدى اللغات العالمية على أي مقياس اتخذه الإنسان))(٢).

والعربية شعار المسلمين الذي يتميزون به عن غيرهم من الأمم، ولذلك كره الإمام أحمد أن يتعود الرجل النطق بغير العربية وعلل شيخ الإسلام ابن تيميه ذلك بأن ((اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون))(٣).

واللغة مرتبطة بقوة الأمة، أو بقوة المتكلم بها، واللغة العربية مرتبطة بالإسلام والمسلمين فتنتشر إذا قوي المسلمون وتنكمش إذا ضعفوا لأن أبناء اللغة والمتعاملين بها هم الذين يرفعون من شأنها أو يضعون منه(٤) ولأن انتشار لغة أمة، دليل تقدم الأمة وحيويتها وتكون اللغة المساعد الرئيسي لنشر أفكار الأمة، وأهدافها، وآرائها ومعبراً عن رغباتها، ومراميها، وصدقها في أعمالها، وكسب تأييدها ومناصرة قضاياها، لذلك تسعى الدول لنشر لغتها، بكل وسائلها، مستخدمة نفوذها لذلك، فالعمل لنشر الإسلام هو عمل لنشر العربية وقد رأينا أن انتشار اللغة العربية قد ساير انتشار الإسلام في جميع أدوار التاريخ(٥).

---

(١) الفصحى لغة القرآن ١٦.
(٢) دراسات لغوية للدكتور حسين نصار ٧.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٠٣.
(٤) اللغة العربية في العصر الحديث ١٥٠.
(٥) ينظر: تركستان الشرقية لمحمود شاكر ٥٨.

الفصل الأول
أثر العربية في الفارسية

يرجع تاريخ اللغة الفارسية إلى سبعة قرون قبل الميلاد، ويقسم علماء اللغات، هذه اللغة بحسب الزمن إلى أقسام ثلاثة هي:

١. الفارسية القديمة.
٢. الفارسية الوسيطة.
٣. الفارسية الحديثة.

فاللغة الفارسية القديمة هي:

واحدة من اللغات الآرية التي تشعبت من مجموعة اللغات ((الهندية – الأوربية)) وبهذا كانت أختا للغات المنتشرة في أوربا وأرجاء الهند مثل السنسكريتية واليونانية واللاتينية والجرمانية والسلافية[١].

وتشمل اللغة الفارسية القديمة :

اللغة الرسمية في عهد الدولة الاكمينية وكانت القوانين والمراسيم تكتب بها.

لغة الأفستا وهي لغة كتاب زرادشت الديني

ويميز هذه اللغة أنها تعتمد على النمط الإعرابي إذ لاحظ الباحثون، أن أكثر نقوش هذه اللغة، ترجع إلى الفترة بين ستمائة وأربعمائة قبل الميلاد، وأنه قد حدث تحول لغوي مهم في آخر هذه الفترة، فقد تحولت اللغة الفارسية من النمط الإعرابي، إلى النمط التحليلي. والفرق كبير بين النمطين، ففي الإعرابي تقوم النهايات الإعرابية بإيضاح الوظائف النحوية، لعناصر الجملة، ولكن النمط التحليلي يعتمد على ترتيب الكلمات، داخل الجملة، وعلى عناصر

(١) ينظر: دروس اللغة والأدب الفارسي ٤، ومدخل إلى علم اللغة ١١٨، وفي اللغة الفارسية وآدابها ٥، وعلم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ١٩٧.

الربط بين هذه الكلمات. وملامح هذا التحول في الفارسية القديمة إختفاء النهايات الإعرابية القديمة، فأصبح ترتيب الجملة محدداً للدلالة. لقد حدث هذا التحول من النمط الإعرابي إلى النمط التحليلي، بين عامي أربعمائة وثمانين وأربعمائة قبل الميلاد وبذلك نشأت الفارسية الوسيطة ثم الفارسية الحديثة ويعد التحول من النمط الإعرابي في الفارسية القديمة إلى النمط التحليلي في الفارسية الوسيطة السمة التي تفرق بين المرحلتين(١).

اللغة الفارسية الوسيطة:

الفارسية الوسيطة امتداد للفارسية القديمة، ويطلق عليها اسم البهلوية ويرجع هذا الاسم إلى كلمة **pahlaw** ومعناها بارثي، ولذ فكلمة (بهلوي) تعني لغة البارثيين، نسبة إلى (برثوه) وهي القبيلة التي كانت، تعيش في الناحية، التي تسمى اليوم بمقاطعة خراسان، والتي اشتهرت بحروبها مع اليونان، وطردها لليونان من إيران سنة (٢٥٠ ق م) وامتد تاريخ هذه اللغة حتى الفتح الإسلامي، ودخول الفرس في الإسلام(٢)، وقد دونت البهلوية بالخط الآرامي على نحو، جعل، الكتابة معقدة، غير واضحة(٣).

اللغة الفارسية الحديثة :

هي التي نشأت في أواخر القرن الرابع الهجري عندما وجدت بعض الدويلات في المشرق الإسلامي التي عملت على إحياء لغاتها المندثرة، وهذا هو الذي يعنينا في هذا البحث.

فاللغة الفارسية القديمة تتميز باعتمادها على النمط الإعرابي، واللغة الفارسية الوسيطة تعتمد على النمط التحليلي، وهي لغة فارس

---

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ١٠٥.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ١٠٥، ودروس اللغة والأدب الفارسي ٩.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ١٠٦، ودروس اللغة والأدب الفارسي ١٦،١٠.

عند الفتح الإسلامي، أما الفارسية الحديثة فقد نشأت في أواخر القرن الرابع الهجري.

لقد ظلت اللغة الفارسية الوسيطة سائدة في إيران حتى جاء الإسلام ودخل العرب بلاد فارس، وانهزم يزدجرد الثالث نهائيا أمامهم في موقعة نهاوند التي سميت بفتح الفتوح سنة (٢١هـ)، وبعد هذه الموقعة دخل الإيرانيون في دين الله أفواجاً، تاركين آراءهم، وأفكارهم، ودينهم، وأقبلوا على الدين الجديد بعقيدته، بعد أن رأوا فيه نجاتهم من الأوضاع السيئة التي سادت المجتمع الإيراني، على يد الزرادشتية، والديانات الأخرى، وأقبلوا على تعلم العربية لغة الدين، وبرعوا فيها، وجدّوا في تعلمها ونشرها، وفقدت اللغة الفارسية البهلوية مكانتها بين رجال الدين وعظماء الرجال والكتاب(١).

فانتشر الإسلام في ربوع إيران انتشاراً سريعا، وأقبل الفرس على العقيدة الإسلامية إقبالاً يثير الإعجاب، واخلصوا في إسلامهم ودافعوا عنه أحسن دفاع وبانتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية في أنحاء إيران، وأصبحت البهلوية وخطها مهجورين(٢) وبانتشار اللغة العربية انتشر معها الخط العربيّ.

وعندما دخلت إيران في الدولة الإسلامية، هاجرت إليها جماعات عربية كثيرة. فإذا كانت المصادر تشير إلى وجود جماعات عربية، على الساحل الإيراني للخليج منذ العصر الجاهلي، فإن عدد هذه الجماعات العربية، زاد في صدر الإسلام باطراد الهجرات زيادة ملحوظة. فقد هاجرت قبائل من عبد القيس كانت تقيم في منطقة ساحل عمان إلى إيران عن طريق الخليج، استقرت هذه القبائل على

---

(١) ينظر: في اللغة الفارسية وآدابها ٦.

(٢) دروس اللغة والأدب الفارسي ١٦.

الساحل وتوغلت بعضها في الداخل. وظلوا هناك متميزين لغوياً عدة قرون حتى الغزو المغولي، ودخلت موجات عربية أخرى إلى إيران عن طريق العراق. وقد تكونت جاليات عربية كبيرة في القرن الثاني الهجري في مناطق مختلفة من إيران، فقد كانت هناك جماعات عربية كثيرة العدد في كاشان وهمذان وأصفهان، بل كان العنصر العربي سائداً في منطقة (قم) ولكن أكبر تجمع عربي دخل إلى هذه المناطق استقر في منطقة خراسان ففي منتصف القرن الأول الهجري هاجر عدة آلاف من البصرة إلى خراسان وعدة آلاف من الكوفة إلى خراسان أيضاً، وتتابعت الهجرات وزادت نسبة العرب في خراسان وما نكاد نصل إلى أوائل القرن الثاني الهجري حتى نجد عدد العرب في خراسان يقدر بمائتي ألف، لم يعش العرب في خراسان في المدن فحسب بل عاش بعضهم في الريف الإيراني أيضاً واختلطوا بصورة متزايدة مع السكان الأصليين. لقد كان العرب المهاجرون إلى هذه المناطق منتمين إلى قبائل مختلفة ففيهم عرب من بكر ومن تميم ومن عبد القيس ومن الأزد[1].

بل تجاوزت الهجرات العربية المناطق التي كانت تتكلم باللغة الفارسية إلى المناطق التي تتكلم بالتركية ولا تزال بقية منها إلى الآن في تركستان الغربية[2] وفي تركستان الشرقية التي أصبحت الآن تابعة للصين[3].

وهكذا تعاون على نشر اللغة العربية في المناطق التي كانت تتكلم اللغة الفارسية إقبال المسلمين الفرس على تعلم العربية والموجات المتتابعة من هجرات القبائل العربية بل وصل تدفق القبائل

(١) ينظر: علم اللغة العربية ٢٤١.
(٢) ينظر: عرب وسط آسيا في أفغانستان ٢٦٠-٢٧.
(٣) ينظر: تركستان الصينية (الشرقية) لمحمود شاكر ٣٤، وانتشار الإسلام في العالم ٢٥٠.

العربية إلى الصين.

وبانتشار الإسلام واللغة العربية واتخاذ الخط العربي نسي المسلمون الفرس الخط البهلوي، واللغة الفارسية، والكتب المؤلفة بها، ولم يبق منها إلا ما حملة جماعة من الزرادشتيين اللاجئين خلال القرن الثاني الهجري وما قبله إلى الهند(١) وكان هؤلاء الزرادشتيون حريصين على دينهم ولغتهم ومظاهر قوميتهم وطابت لهم الهند مستقراً ومقاما وأسسوا لهم جالية مازالت إلى اليوم في الهند وعرفوا بالبارسيين ولهم نزعة قومية ملحوظة تتجلى أوضح ما يكون في تعلقهم بدينهم القديم وتراثهم في كل جوانبه وعلمائهم دائبون على دراسة ذلك التراث اللغوي القديم(٢). وبعض الزرادشتيين لجأ إلى أطراف البلاد كأقليم طبرستان(٣).

ولم يتوقف اتخاذ الخط العربي على المسلمين وحدهم بل اتخذه الزرادشتيون أيضاً(٤)، ومضت ثلاثمائة عام لم يؤلف بالفارسية البهلوية شيء(٥).

وإحياء اللغة الفارسية مر بمرحلتين، الأولى نشر العصبية الفارسية، والثانية التأليف باللغة الفارسية.

وتبدأ المرحلة الأولى بالدول التي استقلت استقلالاً داخلياً أو جزئيا، مع تبعيتها للخلافة العباسية اسمياً،معتمدة على العصبية الفارسية ولكنها لم تسع لفرض اللغة الفارسية، بل هي بمثابة تهيئة للمرحلة الثانية،وأول الدول استقلالاً الدولة الطاهرية التي أسسها طاهر بن الحسين عام ٢٠٥هـ في مرو، ونيسابور،مستفيداً من

---

(١) دروس اللغة والأدب الفارسي ٥١.
(٢) الأدب الفارسي القديم ١٧.
(٣) المرجع السابق ١٧.
(٤) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٠١.
(٥) في اللغة الفارسية وآدابها ٦.

العصبية الفارسية، واستمر حكم هذه الدولة حتى عام ٢٥٩هـ.

وكانت الدولة الطاهرية بداية الانفصال، والاستقلال الإقليمي، ثم توالت بعدها الدول المستقلة ذاتيا، في المشرق الإسلامي والمعتمدة على العصبية الفارسية. إذ ظهر العلويون في منطقة طبرستان عام ٢٥٠ هـ وحكموها، وبنو ساج في أذربيجان بعد عام ٢٧٧هـ، وكان مركزهم مراغة، كما ظهرت الدولة الصفارية في سجستان عام ٢٥٣هـ، وامتد حكمها إلى خراسان عام ٢٥٥هـ، وإلى شرقي إيران كله، ثم جاء بنوزيار إلى طبرستان مكان العلويين[١].

وقوة الدولة العباسية هي التي منعت الدول، التي نشأت في المرحلة الأولى من إحياء اللغة الفارسية، وآدابها بدليل قصة الكتاب الذي قدّم إلى بعض أمراء الدولة الطاهرية إذ تقول القصة : أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان، من قبل المأمون، جاءه شخص بكتاب يهديه إليه، فسأله : أي كتاب هذا ؟ فقال : هذه قصة وامق وعذراء وهي حكاية لطيفة، صنفها الحكماء لكسرى أنوشروان، فقال الأمير عبدالله : نحن قوم لا نقرأ غير القرآن، وليس لنا شأن بغير كتاب الله وشريعته. أما هذا الكتاب (يعني وامق والعذراء)فهو تأليف المجوس، وهو مردود عندنا. ثم أمر بأن يغسل هذا الكتاب بالماء، كما أمر أن يباد كل كتاب، أو مقال من تصنيف العجم في إمارته[٢]. لأن هذه القصة ستقدم فيما بعد أي في المرحلة الثانية عند التأليف باللغة الفارسية.

والمرحلة الثانية أن الدول المستقلة عن الخلافة العباسية استقلالاً جزئياً أو داخلياً لم تكتف بذلك بل أرادت أن تستقل لغوياً أو

---

(١) ينظر: إيران لمحمود شاكر ٤٦، وتاريخ الدولة العباسية لجمال الدين الشيال ٦٥ وخراسان لمحمود شاكر ٣٨.

(٢) ينظر: في الأدب المقارن ٣٠٩.

تتميز عن الخلافة، إذ أسرع حكام هذه الدول آنذاك، في إحياء لغات محلية ولهجات إقليمية، زالت منذ جاء الإسلام بلغته العربية، وأغدق هؤلاء الحكام على الشعراء الأموال الكثيرة، ونال العلماء أعطيات كبيرة، لقاء ما كتبوه في لغاتهم الخاصة، وظهرت مراكز كثيرة للحضارة، كلها تريد أن تضاهي بغداد مركز الخلافة الإسلامية، فكانت مرو، وغزنة، وبخارى، وسمرقند، وغور، ودهلي(١).

وهذه هي المرحلة الخطيرة، التي أدت إلى القضاء على اللغة العربية في المشرق الإسلامي، ولولا ما حصل في هذه المرحلة، لأصبح المشرق الإسلامي اليوم، مثل المغرب من حيث انتشار اللغة العربية.

وبدأت هذه المرحلة بالدولة السامانية التي نشأت، في إقليم ما وراء النهر، ثم ضمت إليها الأقاليم الشرقية من إيران، وتشمل خراسان وطبرستان والري والجبل وبلاد سجستان، وامتد حكمها من عام ٢٦١ – إلى عام ٣٨٩هـ وأضفت على نفسها طابعاً فارسياً إذ انتسبت إلى الملك الساساني بهرام كَور وتمثلت فيها القومية الفارسية بصورة واضحة(٢)، وذلك بإحياء الأدب الفارسي فقد عاش في ظلها ثلاثون من شعراء الفرس، وساعدها على ذلك، قيامها في مناطق بعيدة عن مركز الخلافة بغداد، واهتمت بتشجيع التأليف بالفارسية.وفي أواخر عهدها، أي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، قامت بتطبيق التميز اللغوي، وذلك بالتأليف باللغة الفارسية، والنظم، والترجمة. ففي ظل هذه الدولة، عاش أول شاعر فارسي كبير، وهو الرودكي، الذي نظم قصص كليلة ودمنة، وفي

---

(١) ينظر: أفغانستان لمحمود شاكر ٤٦. وإيران ٤٨.

(٢) ينظر: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٤٦٥، وفي الأدب المقارن ٢٨٢.

ظلها بدأ نظم ملاحم الفرس، إذ أمر الأمير نوح بن منصور الساماني (٣٦٥ - ٣٨٧) الشاعر أبا منصور الدقيقي، بنظم تاريخ الفرس وقصصهم البطولي، فشرع في ذلك وأكمل نحو ألف بيت في سيرة الملك كشتا سب وظهور زرادشت، وفي ظل هذه الدولة ظهر الشعر القصصي فقد نظم أبو المؤيد البلخي قصة يوسف وزليخا[١]، كما شهد الترجمة من العربية إلى الفارسية إذ ترجم تفسير الطبري وتاريخه[٢]، كما ألف كتاب[٣] في العقائد باللغة العربية لوقاية الشعب من الرافضة ثم ترجم، هذا الكتاب إلى الفارسية، كما شجع التأليف بالفارسية، فكتب أبو منصور كتابا في الطب[٤]، كما شهد هذا العصر تأليف كتاب في التفسير بالفارسية[٥]، وفي عهدهم أفتى بعض العلماء بجواز الصلاة باللغة الفارسية كاللغة العربية[٦].

وهكذا وضعت الدولة السامانية، وخاصة في آخر عهدها، الأسس التي قامت عليها اللغة الفارسية ثم حذت حذوها الدول التي جاءت بعدها، متخذه الدولة السامانية إماماً في إحياء اللغة الفارسية، فأتمت ما بدأت به الدولة السامانية. وكل دولة تزيد في نشر اللغة الفارسية، أكثر من الدولة التي سبقتها، وأصبح نشر اللغة الفارسية وتشجيعها، وبذل الأموال الطائلة للمؤلفين بها سمة بارزة، في الدول التي جاءت من بعد السامانيين، وهذا مطرد مع ضعف الدولة العباسية وتناقص الاعتناء باللغة العربية، لأن اللغة الفارسية أصبحت ميزة للحكام

---

(١) ينظر: في الأدب المقارن ٢٨٢.
(٢) ينظر: في الأدب المقارن ٢٨٢، وتاريخ الدولة العباسية ٩٤.
(٣) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٠٣.
(٤) ينظر: في الأدب المقارن ٢٨٢.
(٥) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٠٣.
(٦) ينظر: تاريخ الدولة العباسية ٩٣، وتاريخ الحضارة الإسلامية ١٠٣.

الذين حكموا المشرق الإسلامي لأن كل حاكم يريد أن يتميز عن الخلافة العباسية في بغداد تميزًا لغوياً واللغة أهم ميزة تميز بين الدول.

ومن بعد الدولة السامانية، جاءت الدولة الغزنوية التركية التي نشأت في منطقة غزنة بأفغانستان ثم توسعت شمالاً حتى استولت على بلاد ماوراء النهر، أي تركستان، وامتدت غربا حتى شملت إيران، كما واصلت فتوحاتها شرقا وجنوبا حتى ضمت إليها شمالي القارة الهندية، وبلغت أوج عظمتها واتساعها، في عهد السلطان محمود الغزنوي (٣٨٧-٤٢١) الذي أطلق عليه الخليفة العباسي المقتدر بالله اسم ((يمين الدولة وأمين الملة))[١]، ومع أن الدولة الغزنوية، تمثل أول انتصار للعنصر التركي في صراعه مع العنصر الفارسي على السيادة النهائية في الإسلام[٢]، إلا أن هذه الدولة صارت أشد تحمساً للغة الفارسية من الدولة السامانية إذ رعت نهضة علمية أدبية تعتمد على اللغة الفارسية، وفي عهد هذه الدولة برز الشعر الفارسي واللغة الفارسية بصورة لم يسبق لها نظير بل لم يلحقها حتى في العصور التالية[٣].

ففي عهد السلطان محمود نظمت الشاهنامه للفردوسي، وذلك أن السلطان محموداً أراد أن يبعث القومية الفارسية، بعد أن تم القضاء عليها وشاء أن يكون لمآثر الفرس، ومناقبهم في سمع الدنيا دوي يوقضها من سبات غفلتها، فأمر الفردوسي الشاعر، بحمل الأمانة على بصيرة، وتحقيق الأمل بحيث يصبح ملء العين والقلب. فأمره بنظم الشاهنامه، بمعنى كتاب الملوك وفيه سرد لتاريخ فارس منذ

(١) ينظر: تاريخ الأدب التركي ١٧، والتركستان ٣٣، والعالم الإسلامي في العصر العباسي ٤٧٣، ٤٧٤.
(٢) ينظر: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٤٧٩.
(٣) ينظر: التركستان ٣٥.

أول التاريخ إلى الفتح الإسلامي. على أن يكون مداحاً لملوكهم وصافاً لأبطالهم في حروبهم، لا تفوتــه شــاردة ولا واردة مــن عــاداتهم، ومذاهبهم، وملابسات حياتهم، وبحيث يكون الأداء شعراً فارسـياً لا يتسرب إليه من العربية دخيل، رغبةً منه في أن تقوم للفارسية بعـد الإسلام قائمة، منفردة بخاص من كيانها دون حاجة إلى الاسـتعارة من اللغة العربية، فأمتثل الشاعر أمر مولاه، ونظم الشـاهنامه فـي ستين ألف بيت، بعد أن أخلى ذرعه لإنجازها في ثلاثـين عامـاً أو يزيد[1] ولكن الفردوسي عندما أراد أن ينظم الشاهنامه لم يجد أمامه إلا أوزان الشعر العربي فأختار البحر المتقارب فنظمها عليه.

لأن التراث البهلوي قد خلا من الشعر، مما دعا البـاحثين إلـى إفتراض أحد أمرين: إما أن هذه اللغة لم تشهد ظهور الشـعراء، أو أنها كانت ذات تراث شعري، لكنها فقدت هذا التـراث فـي غمـرة الأحداث الجسام ويتلخص موقف الباحثين بالنسبة لتراث إيران مـن الشعر قبل الإسلام، في رأيين متعارضين، أحدهما يفتـرض مـن أن الفرس القدماء لم يحفلوا بالشعر. ويسند هذا الرأي أن الأدب البهلوي خال من الشعر وأن من العسير افتراض أن شعر أمة بأكمله قد فقد، ولم يبق منه أثر حتى ولا أسماء الشعراء. وأما الرأي الثاني فيستبعد أن تكون أمة عظيمة ذات حضارة عريقة قد خلت من الشعر[1].

ولعلنا نجد الإجابة لدى العقاد عند بيانه لفضل الشـعر العربـي على الأشعار في اللغات الأخرى، وأن الشعر في اللغات الأخرى قـد يلاحظ فيه الإيقاع ولا تلاحظ فيه القافيـة ولا الأوزان المقـررة وإن لوحظت القافية فلا يلاحظ الوزن إذ يقول: ((وجد الشعر في كل لغـة من لغات القبائل البدائية والأمم المتحضرة، ولكنه لم يوجد فنا كـاملا

---

(١) ينظر: الأدب الفارسي القديم ٣٢.
(٢) ينظر: في الأدب المقارن ٢٧٣.

مستقلا عن الفنون الأخرى في غير اللغة العربية. والمقصود بالفن الكامل هو الشعر الذي توافرت له شروط الوزن والقافية، وتقسيمات البحور والأعاريض التي تعرف بأوزانها وأسمائها وتطرد قواعدها في كل ما ينظم من قبيلها فالشعر في كثير من اللغات قد يلاحظ فيه الإيقاع ولا تلاحظ فيه القافية ولا الأوزان المقررة،وقلما تلاحظ القافية في الأشعار التي تنشدها الجماعات كالشعر المسرحي عند اليونان وتراتيل الصلاة والعبادة عند العبريين))(١)، ثم بين أن اللغات الأخرى إذا لوحظت في أشعارها القافية فلا يلاحظ فيها الوزن المطرد، وأن ملاحظة القافية والوزن والتفاعيل من خصائص العربية إذ يقول ((وربما لوحظت فيه القافية على غير وزن مطرد كما تلاحظ في الأغاني الفردية أو أغاني الرقص التي تردد فيها الجماعة كلمات قائد الفرقة الراقصة عند مواقف معينة مرسومة بقوافيها أو بحروف الروى فيها. أما الشعر الذي تلاحظ فيه القافية والوزن وأقسام التفاعيل في جميع بحوره وأبياته فهو خاصة من خواص العربية دون غيرها من لغات العالم أجمع))(٢).

وقد بين العقاد أن بعض اللغات لا يفرق بين شعرها ونثرها إلا الغناء إذ قال في حديثه عن اللغات السامية وهي أقرب اللغات إلى العربية: ((فثبت أنها جميعا خلو من فنون العروض الملتزمة في المنظومات العربية وأن أكثر شعرها من قبيل النثر الذي يقيمه الغناء ويصلحه للإيقاع تارة بالمد وتارة بالقصر على غير قاعدة مطردة، وأن الشاعر الواحد عندهم، قد ينظم عشرات القصائد فلا تتفق فيها قصيدتان على وتيرة واحدة، ولا يتأتى له أن يسمي قصيدة

(١) اللغة الشاعرة ١٨.
(٢) المرجع السابق ١٨.

منها باسمها وعلامات وزنها إلا أن يذكر سطراً من سطورها[١].

كما أوضح أن كثيراً من اللغات تعتمد على الرقص ليقوم مقام الوزن في الشعر إذ يقول ((هذه اللغة أصبح لها من الشعر الموزون فن مستقل بإيقاعه عن سائر الفنون التي يستند إليها الشعر في كثير من اللغات، فلا حاجة بالشعر العربي إلى إيقاع الرقص الذي يصاحب إنشاد الشعر في اللغات الأخرى، لأن أشعار تلك اللغات تستعير الحركة المنتظمة من دقات الأقدام وحركات الأجسام في حلقات الرقص أو اللعب المنسق على حسب خطوات الإقبال والإدبار والدوران، ولا حاجة بالشعر العربي إلى ملازمة الإيقاع المستعار من الرقص واللعب، لأن أوزانه مستقلة بإيقاعها الذي يميز أقسامها وحدودها ويغنيها عن الأقسام والحدود في الفنون الأخرى ولا حاجة بالشعر العربي إلى مصاحبة الغناء لترتيب أوقاته وضبط مواقع المد والسكون في كلماته لأنه مرتب مضبوط في كل كلمة، بل في كل جزء من أجزاء الكلمة، ويجمع بين الحركة والسكون))[٢].

فاللغة الفارسية هي من قبل اللغات التي لا يفرق بين شعرها ونثرها إلا بالغناء أو الرقص وهذا لا يظهر إلا في الأداء أي لا يظهر في الكتابة، ومن اللغات التي تعتمد على الإيقاع بالغناء أو الرقص اللغات الآرية. وقد سبق أن بينا أن اللغة الفارسية إحدى هذه اللغات، يقول العقاد في ذلك ((فالشعر الذي لا يضبط بالوزن والقافية موجود في اللغات السامية واللغات الآرية وبعضه لا يزيد الإيقاع فيه على الموازنة بين السطور بغير ضابط متفق عليه وبعضه يضبط فيه الإيقاع بعدد المقاطع والنبرات، ولا ينتهي إلى قافية ملتزمة في

(١) اللغة الشاعرة ١٩.
(٢) المرجع السابق ٢٢.

القصيدة أو المقطوعة الصغيرة))[1].

ولذلك فإن العلماء عند مقارنتهم اللغة الفارسية الوسيطة باللغة العربية قالوا بأن الفارسية خالية من الشعر، لأنهم لم يروا فيها ما في العربية من الوزن والقافية، كذلك فعل علماء الآثار لأن ما كتب في النقوش لا يعرف هل هو شعر أم نثر؟ لأنه يحتاج إلى غناء ورقص وأين ذلك مما في النقوش.

والمسلمون الفرس في عصر الفردوسي، قد تعودوا على اللغة العربية وألفوا وزن الشعر العربي، وحذقوا كتابة الخط العربي، بعد أن هجروا الفارسية الوسيطة وخطها المعقد، منذ أربعة قرون وكذلك فإن الفردوسي لو لم ينظم الشاهنامه على أوزان الشعر العربي، لما قرأها أحد ولأصبحت من النثر في نظر المسلمين، ولم تعد شعراً، كما أن الفردوسي كتب هذه المنظومة بالخط العربي ولو كتبها بالخط الفارسي القديم لم يعرفها أحد، لأن الفردوسي نفسه لا يعرف الكتابة الفارسية القديمة، ولأن الفارسية القديمة بعد مضي أربعة قرون- تحتاج إلى مترجم.

فالفردوسي وإن تخلص من الألفاظ العربية لم يستطيع أن يتخلص من وزن الشعر العربي والخط العربي، مما يبين عظم أثر العربية في الفارسية.

وبعد أن عرفنا سبب اختيار الفردوسي للوزن العربي والخط العربي،فإننا نريد أن نعرف من أين حصل على المادة العلمية التي ضمنها منظومته الطويلة، بعدما أصبحت اللغة الفارسية الوسيطة منسية، وتحتاج إلى مترجم، وخطها أصبح عصيا حتى على المختصين.

لقد اعتمد الفردوسي على التراث الفارسي الذي ترجم إلى العربية في القرن الثاني الهجري، وهذا ما بينه العلامة الهندي شبلي

(١) حياة قلم ٢٨٤.

النعماني العارف باللغات الهندية والفارسية والعربية إذ يقول: ((لا تعتبر الشاهنامه بصفتها تاريخاً عاماً تصنيفاً جديداً فقد نظم قبلها أبو علي بن أحمد البلخي شاهنامه وبصفته شاعرا لم يكتب كتابا ولكنه جمع مواد تاريخية قديمة جدا ونادرة عن تاريخ إيران ولهذا صرح أن واقعات هذا الكتاب فيه سير الملوك لعبدالله بن المقفع وسير الملوك لمحمد بن الجهم، وسير الملوك لهشام بن القاسم وسير الملوك لبهرام بن مروان شاه، وسير الملوك لبهرام الأصفهاني))(١)، ثم ذكر عدداً من الكتب المطولة التي تتحدث عن تاريخ الفرس وسيرهم وآدابهم وعاداتهم مما ترجم إلى العربية والتي تتضمن مثل ما تضمنته الشاهنامه للفردوسي(٢).

ويقول المستشرق الروسي بارتولد: إن بعض المواضيع الأسطورية الخاصة بالعصور السابقة للإسلام كتبها بالفارسية الحديثة شعراء إيران المتقدمون معتمدين على تراجمها العربية أكثر من أصولها(٣).

وقد أجمع فصحاء الفرس على أنه ليس في لغتهم أفصح من الشاهنامه(٤) وقد أوحت الشاهنامه لبعض المؤرخين أن يقوم بنظم وقائع التاريخ ومن أمثلة ذلك ((ظفر نامه)) التي تتناول تاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي حتى القرن الثامن الهجري وصاحب هذه المنظومة هو المؤرخ الفارسي حمد الله المستوفي القزويني ويبلغ عدد أبياتها نحو سبعين ألف بيت، وقد استمر النظم وسيلة لتسجيل التاريخ بعد ذلك وقتاً طويلاً، إذ نظم هاتفي ((تيمورنامه)) في سيرة تيمورلنك، ونظم قاسمي كونابادي ((شاهنامه)) في سيرة الشاه

(١) فضل الإسلام على الحضارة الإنسانية ١٠٢
(٢) ينظر: المرجع السابق ٩٨-٩٩.
(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية ١٠٦.
(٤) ينظر: الأسطورة ١٥.

إسماعيل الصفوي، وكذلك نظم أحد الشعراء سيرة الملك القاجاري فتح على شاه وهو من ملوك إيران في القرن التاسع عشر، ودعا منظومته ((شاهنشاه نامه))[1] والشاهنامه لها أثر في اللغات التركية وسنبين ذلك فيما بعد.

المثنوي:

يعرف الشكل الشعري الذي نظم عليه الفرس ملاحمهم ورواياتهم ومطولاتهم باسم (المثنوي) وكلمة مثنوي تعني ذلك النظم الذي يعرف بالعربية بالمزدوج وهو شعر يكون لكل بيت فيه قافيته الخاصة التي يتحد فيها شطراه[2].

مثل قول الشاعر:

ما كل قول يسمع ∴ ما كل نصح ينجح

ما كل عذر يقبل ∴ ما كل ذل يحمل

ما كل ظن يصدق ∴ ما كل غرس يورق

فكلمة (مثنوي) لا تعني أكثر من كلمة (مزدوج) فكل ما يمتاز به هذا الشكل الأدبي أنه متعدد القوافي بمعنى أن كل بيت من أبيات المنظومة يستقل بقافية، تقوم بين شطريه، وبذلك يتخلص الشعراء من القافية الموحدة، التي تعوق الاسترسال في النظم ويستطيعون نظم الملاحم التي بلغ بعضها ألوفا متعددة من الأبيات. ولا يقتصر النظم في المثنوي على بحر واحد بعينه بل هناك عدة أبحر استخدمت في نظم المثنوي. ولكن لم يكن بينها البحور الطويلة كالبسيط والطويل، وتجلت ملاءمة المتقارب والرمل والوافر لهذا اللون من النظم[3].

وهذا النوع من الشعر المزدوج قد استخدمه شاعر عربي من

(١) ينظر: في الأدب المقارن ٢٩٩.
(٢) ينظر: في الأدب المقارن ٤٩٣.
(٣) ينظر: في الأدب المقارن ٢٨٠.

أحد النقلة إلى العربية وخاصة مطولات الكتب وهو الشاعر أبان بن عبدالحميد المتوفي سنة ٢٠٠ هـ ذكره ابن النديم في موضعين يقول في الموضع الأول ((هو أبان بن عبدالحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي وكان شاعراً هو وجماعة أهله واختص هو من بين الجماعة بنقل الكتب المنثورة إلى الشعر المزدوج فمما نقل كتاب كليلة ودمنة، كتاب سيرة أردشير، كتاب سيرة أنو شروان، كتاب بلوهر وبردانيه، كتاب رسائل، كتاب حلم الهند))[1] ويقول في الموضع الثاني ((أبان بن عبدالحميد بن لاحق بن عفير شاعر مكثر وأكثر شعره مزدوج ومسمط وقد نقل من كتب الفرس وغيرها ما أنا ذاكره، كتاب كليلة ودمنة، كتاب الزهر وبرداسف، كتاب السندباد، كتاب مزدك، كتاب الصيام والاعتكاف))[2].

إذن فالذين قاموا بإحياء التراث الفارسي القديم، أصبحوا أمام تراث فارسي مترجم إلى العربية بشكل منظومات شعرية، وهذا قد يثير سؤالاً ؟لماذا اعتمد الذين قاموا بإحياء التراث الفارسي على المنظومات، واللغة الفارسية كما سبق أن بينا لا تشتمل على منظوم كالعربية ؟ ويمكن الإجابة على هذا السؤال بما يلي:

١- إنهم وجدوا التراث الفارسي القديم مترجما منظوماً ثم أعادوه إلى أصله مستخدمين النظم كما استخدمه المترجمون لأن اللغة الفارسية الوسيطة قد ماتت وإنما أعادوه إلى الفارسية الموجودة على ألسنة بعض الفرس كالزرادشتيين.

٢- إن الفرس المسلمين قد ألفوا هذه المنظومات العربية لتراثهم القديم ولو صيغ تراثهم في غير هذه المنظومات لم يستسيغوه؟

وللأسف فإن الكتب المنسوبة إلى أبان والتي وصف – لنظمه

(١) الفهرست ١٧٢.
(٢) المرجع السابق ٢٣٢.

لها- بأنه شاعر مكثر مفقودة ولم يبق منها سوى أبيات تروى من منظومته كليلة ودمنة. ولكن يؤخذ من عمله أنه أول من نظم المطولات قبل ظهور الأدب الفارسي الإسلامي.

وقد نظم الفردوسي قصة يوسف وزليخا وقد سبقه إلى نظم هذه القصة شاعران هما أبو المؤيد البلخي، والبختياري، ولكن هاتين القصتين مفقودتان(١).

وفي الدولة الغزنوية وجد الشاعر العنصري الذي اشتهر أيام السلطان محمود وقد ذكر كتاب التراجم أنه نظم مثنويات عدة(٢) هي:

١- شاد بهر وعين الحياة.
٢- خُنُك بُت وسُرخ بُت.
٣- وامق وعذراء.

وموضوع ((شاد بهر وعين الحياة)) مبني حول قصة ترجمها أبو الريحان البيروني من الفارسية إلى العربية بعنوان ((حديث قسيم السرور وعين الحياة)).

وأما ((خنك بت وسرخ بت)) فقصة محلية مرتبطة بصنمين في باميان في بلخ ولا يزالان حتى الآن. وقد ترجم البيروني هذه القصة بعنوان ((حديث صنمى باميان)).

وأما قصة وامق والعذراء فهي ذات القصة التي قدمت نسخه منها إلى الأمير عبدالله بن طاهر وقد بقيت لتصل إلى العنصري فنظمها في البحر المتقارب ثم ضاعت ولم يبق منها سوى أبيات متفرقة حفظتها كتب اللغة.

ويتبين لنا من هذا أن الذين قاموا بإحياء اللغة الفارسية إنما يترجمون عن العربية مثل ما فعل العنصري الذي ترجم كتب البيروني

(١) ينظر: في الأدب المقارن ٣٦٧.
(٢) ينظر: في الأدب المقارن ٣٠٨.

العربية إلى الفارسية، لأن اللغة الفارسية الوسيطة في هذا الزمن الذي نظم فيه العنصري، قد ماتت وما بقي منها فيحتاج إلى ترجمة.

وفي ظل الدولة الغزنوية وجد الشاعر أبو المجد مجدود بن آدام الذي اشتهر باسم سنائي[1]، وتنسب إليه ستة مثنويات قصيرة تعرف بستة سنائي، وهذه المثنويات الستة هي:

١- سير العباد إلى المعاد ولا يزيد طول هذا المثنوي عن سبعمائة بيت.

٢- طريق التحقيق.

٣- كارنامه بلخ.

٤- عشق نامه.

٥- عقل نامه.

٦- تجربة العلم.

ولكن أهم أعماله هو حديقة الحقيقة، وقد استغرق في نظم هذه الموسوعة عشر سنوات وتبلغ أبيات هذه المنظومة نحو اثنى عشر ألف بيت، وسنائي شاعر واسع التحصيل لمعارف عصره، ولذلك جعل من منظومته هذه موسوعة لتلك المعارف، ومما أغراه بذلك الاتجاه أن الثقافة الإسلامية حتى زمان الشاعر في أوائل القرن الخامس الهجري بقيت عربية اللغة لقد كانت هناك آلاف الكتب باللغة العربية في مختلف العلوم والمعارف في حين أن الفارسية لا تزال مفتقرة إلى المؤلفات في مختلف جوانب الثقافة الإسلامية، من هنا نهض الشاعر لسدّ هذا النقص وقدم لقراء الفارسية موسوعة شعرية ضمت ما وعاه من العلوم والمعارف[2]، ولقد بدا التفكك واضحا بين موضوعات الأبواب في هذه المنظومة كما بدا التفكك داخل نطاق الأبواب ذاتها لأن غرض الشاعر هو ترجمة جميع العلوم التي في

(١) ينظر: في الأدب المقارن ٤٢٦.

(٢) ينظر: في الأدب المقارن ٤٣٣.

اللغة العربية إلى الفارسية.

ومن هنا يتبين لنا أن الذين قاموا بإحياء اللغة الفارسية إنما قاموا بترجمة التراث العربي إلى الفارسية، أو بمعنى أوضح ترجمة التراث الإسلامي من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية، حتى تاريخ فارس القديم قد أخذ مما ترجمه العرب عن الفارسية الوسيطة لأن الفارسية الوسيطة أي البهلوية قد ماتت وأصبحت غير معروفة من بين أتباع الزرادشتية وإنما تغيرت بعد مرور خمسة قرون. وهكذا تتم في عهد الغزنويين اللغة الفارسية الحديثة والتي بدأت في أواخر الدولة السامانية، واكتملت في عهد الدولة الغزنوية في أوائل القرن الخامس وهي مزيج من اللغة الفارسية الوسيطة التي عاشت بين اتباع زرادشت ثلاثة قرون بعد الفتح الإسلامي ومن العربية التي اتخذها المسلمون لغة لهم لمدة أربعة قرون.

فالفارسية الحديثة قد اتخذت الخط العربي رسما لها وبحور الشعر العربي وزناً وآلاف الكلمات العربية حشواً لها والثقافة الإسلامية معينا لها.

ولا شك أن إحياء اللغة الفارسية، وتحويل المسلمين من استعمال العربية إلى استعمال الفارسية، يثير سؤالاً. ما الفائدة المرجوة من هذا الإحياء؟

وقد أجاب عن هذا السؤال أبو الريحان البيروني الذي عاصر هذه التحولات أي الإحياء في زمن الغزنويين من أوله إلى أخره والذي يعتبر شاهد الحال لهذه الفترة من الزمن إذ قال في كتابة الصيدنة: ((ديننا والدولة عربيان وتؤمان ترفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية، وكم احتشد طوائف من التوابع وخاصة منهم الجبل والديلم في إلباس الدولة جلابيب العجمة فلم يتفق لهم في المراد سوق، وما دام الأذان يقرع آذنهم كل يوم خمسا، وتقام

الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفا صفا ويخطب به لهم في الجوامع بالإصلاح، كانوا لليدين والفم، وحبل الإسلام غير منفصل، وحصنه غير منثلم، وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة وسرت محاسن اللغة في الشرايين والأوردة، وإن كانت كل أمة تستحلي لغتها التي ألفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها مع ألافها وأشكالها. وأقيس هذا بنفسي وهي مطبوعة على لغة لو خلد بها علم لا ستغرب استغراب البعير على الميزاب والزرافة في الأكواب، ثم منتقلة إلى العربية والفارسية فأنا في كل واحد دخيل ولها متكلف، والهجو بالعربية أحب إليّ من المدح بالفارسية. وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسرويه والأسمار الليلية))(١).

وبعد الدولة الغزنويه جاءت الدولة السلجوقية التركية التي سيطرت على المشرق الإسلامي وبلغت أقصى اتساعها في عهد ملك شاه (٤٦٥- ٤٨٥) وأصبحت تمتد من حدود أفغانستان في الشرق إلى حدود الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية في الغرب بل اخترقت حدود الدولة البيزنطية واحتلت أجزاء من تلك الدولة وأضافتها إليها(٢).

واتبعت الدول التي سبقتها في رفع شأن اللغة الفارسية، لقد وجدت أن اللغة الفارسية قد تم إحياؤها في عصر الغزنويين فما كان منها إلا أن جعلتها لغة رسمية لمشرق العالم الإسلامي، وجعلتها لغة السياسة الدولية وترجمان الثقافة والأدب، ولم تعترف باللغة العربية

---

(١) ينظر:حركة التعريب في العراق ٦،ومن قضايا العربية المعاصرة ٦٢.
(٢) ينظر: تاريخ الدولة العباسية ١١٠، والعالم الإسلامي في العصر العباسي ٦٥٨.

إلا على أنها لغة الدين والفلسفة الكلامية[١] ووجد شعراء الفارسية في قصور الحكام السلاجقة الحماية والتشجيع[٢] وهكذا بدأت اللغة العربية تنزاح شيئا فشيئاً أمام اللغة الفارسية، بعد أن كانت اللغة العربية هي الرسمية والسائدة، لأن اللغة تابعة للمتكلمين بها تقوى بقوتهم وتضعف بضعفهم ومع ذلك بقيت اللغة العربية لغة للثقافة الإسلامية لأنها لغة الدين الإسلامي، وهي المنهل الذي يستقى منه جميع المسلمين، ولأن بها قوة ذاتية وإن لم تجد من يناصرها، ولذلك بقيت صامدة أمام عاديات الزمان، وقد سيطرت أوزان الشعر العربي على اللغة الفارسية وشعرائها سيطرة تامة وأصبحوا يدورون في فلكها أينما دارت فصيغت الأفكار والمعلومات بألفاظ فارسية وعربية في أوزان شعرية عربية خاصة.

وكان مما ساعد على رواج اللغة الفارسية بين العناصر التركية هو أن دعاة الإسلام من الفرس عندما يلقنون الترك تعاليم الدين الإسلامي ومبادئه بالعربية يحببون إليهم آدابهم الفارسية معها[٣].

وقد عاش في ظل الدولة السلجوقية كثير من العلماء والشعراء الفرس الذين كان لهم أثر كبير في اللغة الفارسية وفي لغة الأقوام الذين تأثروا بهم،ومن أهمهم هؤلاء.

١- فخر الدين أسعد الجرجاني، الذي عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، اشتهر بمنظومة اسمها ((ويس ورامين)) وقد بناها على قصة فارسية ترجع إلى تراث الفرس، قبل الإسلام ولم تكن هذه القصة مما ترجم من تراث الفرس إلى العربية في القرون الأولى للإسلام، بل بقيت معروفة في اللغة

(١) ينظر: العربية ليوهان فك.
(٢) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية ١١٧.
(٣) ينظر: تاريخ المسلمين ٢/٢٩١.

الفارسية الوسيطة (البلهوية) وقد اطلع عليها فخر الدين في أصفهان في أوائل القرن الخامس الهجري وترجمها إلى الفارسية الحديثة إذ يقول ((فلم أر قصة أحلى من تلك القصة، فمثلها لا تبقى إلا في بستان جميل،لكن لغتها بهلوية،فليس يفهم معناها كلّ من قرأها،إذ ليس يحسن كلّ إنسان قراءة هذه اللغة،ولو أنه قرأها، فهو لا يفهم معناها وهم يقرأون في هذا الأقليم،هذا الدفتر حتى يتعلموا منه اللغة البهلوية)). ويتبين من هذا أن اللغة الفارسية الوسيطة قد ماتت وأن أهل أصفهان يحاولون قراءتها ولكنهم لا يحسنون قراءتها وإن قرأوها لا يفهموها وقد نظم الشاعر قصته في البحر الوافر وكان الشائع استخدام المتقارب(١).

٢- نظامي الكنجوي واسمة جمال الدين إلياس بن يوسف بن مؤيد منسوب إلى كنجة بمقاطعة أذربيجان له خمس منظومات اشتهرت باسم خمسة نظامي واشتهرت كذلك باسم ((بنج گنج)) أي الكنوز الخمسة وهي(٢):

أ - مخزن الأسرار ويشتمل على نحو ألفين ومئتين وستين بيتا

ب- خسرووشيرين وتشتمل على ستة آلاف وخمسمائة بيت وهي منظومة على البحر الوافر ويسميه الفرس الهزج المسدس(٣) المقصور

ج- ليلى والمجنون وهي مأخوذة من التراث العربي

د- هفت پيكر أي (الصور السبع) وتسمى كذلك (هفت گنبد) أي (القباب السبع) وكذلك تسمى (بهرام نامه) أي كتاب بهرام وقد

(١) ينظر: في الأدب المقارن ٣١٢.
(٢) المرجع السابق ٣١٧.
(٣) المرجع السابق ٣٢٠.

بلغ عدد أبياتها خمسة آلاف ومائة وستة وثلاثين بيتاً.

هـ - إسكندر نامه[1] أي كتاب الإسكندر وبلغ عدد أبيات هذه المنظومة عشرة آلاف وخمسمائة بيت.

٣- عبدالرحمن الجامي له منظومة اسمها يوسف وزليخا وقد نظمها على البحر الوافر.

٤- فريد الدين العطار وله عدة مثنويات[2] هي :

أ - إلهي نامه وهي منظومة قصصية في الزهد وهي منظومة طويلة تتجاوز سبعة آلاف بيت.

ب- مصيبت نامه أي كتاب المصيبة وهي منظومة طويلة تزيد على سبعة آلاف وخمسمائة بيت.

ج- أسرار نامه أي كتاب الأسرار ويبلغ عدد أبياته ثلاثة آلاف وثلاثمائة بيت.

د - وللعطار ديوان باسم (مختار نامه) وله مثنوي باسم (خسرو نامه) ولكن أشهر أعماله منظومته المعروفة باسم (منطق الطير) وهذا العنوان مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس علمنا منطق الطير﴾[3].

وهذه الملحمة هي التي اشتهر بها العطار شرقا وغربا وقد ترجمت إلى عدد من لغات الأمم الإسلامية وإلى بعض اللغات الأوربية[4] وهي تتألف من أربعة آلاف وستمائة بيت[5].

٥- جلال الدين الرومي بلغ انتاجه نحو سبعين ألف بيت وأهمه

(١) المرجع السابق ٣٤٩.
(٢) المرجع السابق٤٣٩.
(٣) سورة النمل آية ١٦.
(٤) ينظر: في الأدب المقارن ٤٨٤.
(٥) من أدب الترك والفرس ٢٠٦.

منظومته الكبرى المعروفة باسم (المثنوي)(١) ويبلغ عدد أبياتها أكثر من ستة وعشرين ألف بيت.

٦- سعدي الشيرازي(٢) وعلى يديه اكتمل فن المثنوي وله أثر في آداب الأمم الإسلامية كلها، له كتاب (الگلستان) وهو كتاب يمزج فيه الشعر بالنثر ويكاد النظم يبلغ ثلث هذا الكتاب، أما بقيته فقد صيغت في نثر فني أنيق وله كتاب (البوستان) وهو منظومة تتحدث عن الأخلاق وقد بلغ عدد أبياتها أربعة آلاف بيت من الوزن المتقارب.

ونلاحظ سيطرة العروض أو أوزان الشعر العربي على علماء الفرس سيطرة تامة فإذا كان العرب قد قدموا للعالم الخارجي الإسلام واللغة العربية وأوزان الشعر العربي والخط العربي فإن الفرس بعد إحياء لغتهم التي ماتت في أوائل القرن الأول الهجري بعد مضي أربعة قرون أي في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، أو بمعنى أوضح استطاعوا تكوين لغة لهم في أواخر القرن الرابع فقد أخذوا مما قدمه العرب للعالم الخارجي الإسلام ولعروض أو أوزان الشعر العربي والخط وأكثر من نصف ألفاظ الفارسية الحديثة، وقد أغرموا بالشعر العربي وأوزانه حتى تحولت اللغة الفارسية إلى لغة شعرية وهذا جزء مما تمتاز به العربية وهذه المنظومات الطويلة التي تبلغ آلاف الأبيات، والقصص. هي عبارة عن موسوعات يحشد فيها الشاعر جميع معارف عصره كما يلاحظ أن هذه المنظومات المطولة قد انتقلت إلى اللغة التركية واللغة الهندية - الأوردية اللتين اتخذتا من اللغة الفارسية وشعرائها إماماً تقتديان به.

وقد شهد على عصر السلاجقة الذي جعلت فيه اللغة الفارسية

---

(١) المرجع السابق ٤٩٣.
(٢) المرجع السابق ٥٢٨.

لغة رسمية في جميع مناطق المشرق الإسلامي أبو القاسم الزمخشري إذ يقول : (الله أحمد أن جلعني من علماء العربية. وجبلني على الغضب للعرب والعصبية. وأبي لي أن انفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوى إلى لفيف الشعوبية وانحاز. وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعينن. والمشق بألسنة الطاغين)[١].

وبلغ أوسع استعمال للغة الفارسية، في عهد الدولة المغولية، إذ جعلت الفارسية اللغة الرسمية لهذه الدولة المترامية الأطراف، وذلك بعد أن أسلم المغول الذين في إيران و ذلك أن ملوك المغول في إيران، رأوا تأليف كتاب في التاريخ جامع للروايات التاريخية لجميع الأمم التي تدخل في ضمن الإمبراطورية المغولية، والتي لها علاقة بالمغول من الصينيين إلى الإفرنج (سكان أوربا الغربية) ونفذ بعض هذا العمل وكلف القيام به رشيد الدين الذي كان يهوديا وأسلم، وكان يعاونه رجل مغولي عالم بالروايات التاريخية المغولية، واثنان من علماء الصين، وراهب بوذي من كشمير، وعدة من علماء إيران. وربما كان معهم راهب فرنسي أيضاً. حاول رشيد الدين تسجيل الروايات التاريخية كما سمعها من رواتها بدون تغيير، فليس كتابه من هذه الوجهة تاريخا علميا بالمعني المفهوم اليوم إلا أنه يشغل في آداب العالم مكانة ممتازة من حيث اتساع دائرته ولم ير اجتماع علماء جميع الأمم المتحضرة في العالم القديم وجمعهم للروايات التاريخية المتصلة بالتاريخ العام في كتاب واحد لا قبل ذلك الزمان ولا بعده[٢] وهذا الكتاب مؤلف باللغة الفارسية ويشتمل على عدة مجلدات واسمه (جامع التواريخ) لخواجة رشيد الدين فضل الله

(١) المفصل في علم العربية ٤٠.
(٢) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٣١.

وبقيت اللغة الفارسية لغة رسمية للدولة التيمورية بعد المغولية حتى عهد الدولة الصفوية عام ٩٠٦هـ وأصبحت اللغة الفارسية معبراً عبرت عن طريقه اللغة العربية إلى المناطق التي حكمها المغوليون والتيموريون، وذلك أن اللغة الفارسية نقلت إلى تلك المناطق الخط العربي، وأوزان الشعر العربي، وعشرات الآلاف من الكلمات العربية التي تحتويها وهذا من الأهداف التي اختير من أجلها هذا البحث.

وبهذا نصل إلى أن اللغة الفارسية الحديثة، التي تكتب بالخط العربي، قد دخلتها ألفاظ واصطلاحات عربية كثيرة احتاجت إليها للتعبير عن الأفكار الحديثة فبلغت نسبة الألفاظ العربية فيها أكثر من خمسين في المائة[١] بل وصلت عند بعض الباحثين إلى أكثر من ستين في المائة[٢] ولو أن أحداً أراد أن يكتب شيئا بالفارسية بحيث تكون كتابته خلوا من الألفاظ العربية لتعذر الأمر، إذ يجد قارئ النثر الفارسي أحياناً ألفاظاً عربية متوالية ليست للفارسية فيها إلا التراكيب والصلات[٣].

ولم يقف الأمر عند الألفاظ بل استعارت آلاف العبارات والجمل.

وقد أخذت الفارسية من العربية النحو، والبيان، والبديع، والعروض، فالفارسية الحديثة قد اتخذت أوزان الشعر العربي أساساً لتطوير شعر جديد ولم يترك الفرس هذه الأوزان على حرفيتها، بل عدلوا فيها بما يلائم لغتهم، لكن الأساس بقي عربيا، ونظم الفرس في كل بحور الشعر العربي، وإن فضلوا بعضها على البعض الأخر.

كذلك غيروا عدد التفعيلات في البيت الواحد، وبخاصة في الأبحر الموحدة التفعيلات مثل الكامل فالبيت الفارسي من الكامل يحتوي على

(١) ينظر: في اللغة الفارسية وآدابها ٦.
(٢) ينظر: من قضايا اللغة العربية المعاصرة ٢٦٠.
(٣) ينظر: الفصحى لغة القرآن ٧٦.

ثماني تفعيلات بدلاً من الستة، التي يحتويها البيت العربي في هذا البحر. على أن كثيرا من ناظمي القصائد الفارسية قد ساروا على النهج العربي. وهنالك بحور بعينها فضلوها في نظم ملاحمهم المطولة، مثل المتقارب والرمل واستخدموها في أوزانها العربية، فالشاهنامه مثلاً منظومة في البحر المتقارب، بدون تغيير في طبيعته وكذلك المثنوي لجلال الدين الرومي منظوم في بحر الرمل المكون من ست تفعيلات أي كما هو في العربية[1].

كما أخذ الأدب الفارسي موضوعات الأدب العربي[2] والشعر الفارسي مدين بصورة مباشرة للشعر العربي. فالأوزان عربية والصياغة الفنية متأثرة إلى حد بعيد بفن الأداء في الشعر العربي. وهذه حقيقة شهد بها مؤرخو الأدب الفارسي القدماء،فصاحب المعجم في معايير أشعار العجم،يطبق دراساته على الفارسية والعربية، من غير تفريق بين اللغتين، ونظامي العروضي السمرقند صاحب المقالات الأربع، يؤكد أهمية العناية بدراسة شعراء العرب وكتابهم، بوصفها وسيلة لإجادة الإنشاء بالفارسية، وهكذا فعل رشيد الدين الوطواط صاحب ((حدائق السحر في دقائق الشعر)) الذي أكد أن كل شعراء الإسلام عيال على المتنبي في علمه وحذقة وقوة تعبيره وكذلك ذكر، دولتشاه صاحب (تذكرة الشعراء) فضل العرب على الفرس في تعليمهم بلاغة القول[3] فالشاعر في الفارسية الحديثة لا يستطيع أن يقول الشعر بلغته الفارسية ما لم تكن معرفته بالعربية كاملة حافظاً لأشعار العرب مطالعاً لأقوالهم[4] بل إن الشعر الفارسي لكثرة، ما أخذ من الشعر العربي من فنون البديع مثل التصوير

(١) ينظر: في الأدب المقارن ٢٦٨.
(٢) ينظر: الفصحى لغة القرآن ٧٩.
(٣) ينظر: الأدب المقارن ٢٧٠.
(٤) ينظر: معالم الحضارة الإسلامية ٣٠٦

والتشبيه والكناية والتصريع والترصيع والجناس والسجع والاقتباس وغيرها، يكاد إذا ما أخرجنا منه الكلمات غير العربيـــة أو إذا قـــرأه أجنبي معلوماته بالعربية محدودة لا يستطيع إلا أن يحكم بأنه شـــعر عربي ولا شيء غير ذلك(١).

وقد حاولت حملة التغريب على اللغة العربية أن تمتد إلى إيران لتغيير الحروف العربية والالتجاء إلى اللاتينية في كتابة اللغة الفارسية فاعترض على ذلك الإيرانيون. ومع ذلك فقد عمد الإيرانيون إلى الاستعاضـــة عـــن الكلمات العربية في لغتهم بكلمات إيرانية فلما أســـاء هـــذا العمـــل بعـــض المقامات قال مسؤول: إن الرغبة في إصلاح اللغة الإيرانية ليس بدافع لأية صبغة سياسية أو دينية، أو مذهبية، وليس بدافع الخصومة للعرب. وإنـــه ليس المطلوب تجريد اللغة الإيرانية من جميع الألفاظ العربية لأن ذلك غير ممكن وكل ما نريد تركه هو ألفاظ وعبارات أجنبية لســـنا بحاجـــة إليهـــا، وترمي إلى عدم تغلب العناصر الأجنبية على لغتنا، ونسعى لنحـــافظ علـــى أسلوب اللغة الفارسية، حتى لا نخرج عن الأسلوب الصحيح(٢).

والمناطق التي تتكلم الفارسية اليوم تشمل إيران وطاجيكســـتان وأفغانستان بجانب لغة البشتو. هذا وما في الفارسية من أثر للعربية فقد انتقل إلى اللغتين التركية والهندية – الأوردية وهذا ما ســـنبينه فيما بعد.

(١) المرجع السابق ٣٠٧.
(٢) ينظر: الفصحى لغة القرآن ١٠٩.

الفصل الثاني
أثر العربية في التركية

يطلق مصطلح اللغات التركية، أو لغات الترك، على عدد من اللغات التي تنتمي إلى أصل واحد، والموطن الأصلي لهذه اللغات هو بلاد تركستان، والتي تمتد من الصين شرقاً إلى بحر قزوين غرباً، وقد هاجرت بعض القبائل التركية من تركستان إلى جهة الغرب حتى وصلت إلى شرق أوربا وغرب آسيا وأهم هذه القبائل التركية المهاجرة قبائل الأوغوز والقبچاق، تحركت قبائل الأوغوز إلى غرب آسيا فتكونت عدة لغات تركية في المنطقة الغربية من آسيا، وأهمها التركية بينما هاجر القبچاق إلى المناطق الشرقية من أوربا، فتكونت لغات أخرى في شرق أوربا أهمها اللغة التتارية ولغة القازاق[١].

فمناطق اللغات التركية اليوم تشمل معظم آسيا الوسطى، وآسيا الصغرى وجزءاً من شرق أوربا.وكتب الأتراك لغاتهم بالخط الأويغوري وهو خط أبجدي يقوم على الخط الصغدي القديم والذي بدوره يقوم على الأبجدية الآرامية القديمة[٢] وظل الخط الأويغوري سائداً عند قبائل الترك حتى دخلت في الإسلام[٣].

وبدأ فتح تركستان منذ عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم تنته سنة ٩٨هـ حتى فتح قتيبة بن مسلم الباهلي كشغر ووصل إلى حدود الصين وخضع له امبراطورها وبعث له بالجزية[٤]. أي دخلت أغلب بلاد تركستان في الإسلام قبل انتهاء

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ١٣٤، واللغة بين القومية والعالمية ١٥٨والمسلمون تحت السيطرة الشيوعية ١٣ والتركستان ١١.
(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ٣٥.
(٣) المرجع السابق ١٣٥ .
(٤) التركستان ١٧.

القرن الأول من الهجرة وانتشرت اللغة العربية بعد الفتح مع انتشار الإسلام وأصبحت اللغة الرسمية والوحيدة[١] وهاجرت جموع من القبائل العربية مع الفتح وبعده واستقرت هناك،ولا تزال باقية إلى اليوم، منها ما يعرف بالهوي[٢] في تركستان الشرقية، كما لا تزال بقية من القبائل في أوزبكستان.

وعندما ضعفت الخلافة العباسية بعد القرن الرابع وأحييت اللغة الفارسية عمت هذه اللغة بلاد تركستان ثم سادت بعد ذلك اللغة التركية وهي اللغة التي يتكلمها السكان اليوم.وقد خضعت تركستان للدولة السلجوقية، ثم للدولة المغولية، ثم للدولة التيمورية، ثم أصبحت بلاد تركستان مقسومة إلى قسمين، الشرقي منها ويخضع للصين، وهو ما يعرف بتركستان الشرقية أو الصينية، وتسميها الصين ((سينكيانج)) أي المستعمرة الجديدة[٣] ومعظم سكانها من الأويغور ويشكلون ثمانين في المئه من السكان، ومن بين سكانها ما يعرف بالهوي وهم من أصل عربي وينتسبون إلى العرب المسلمين الفاتحين الذين قدموا مع قتيبه بن مسلم الباهلي[٤]. وقد خرج من تركستان الشرقية، السلاجقه والعثمانيون، الذين كان لهم شأن كبير في البلاد الإسلامية.

وأما القسم الغربي من تركستان فيعرف بتركستان الروسية وقد استقل هذا القسم عن روسيا أخيراً وهو يشمل (قازاقستان، وأوزبكستان، وتركمانستان، وقيرغيزيا) كما يوجد في روسيا الآن جمهوريتان إسلاميتان تركيتان لهما استقلال ذاتي ضمن الاتحاد الروسي وهما جمهورية

(١) ينظر: المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ١٧.
(٢) تركستان الصينية ٣٤.
(٣) ينظر: التركستان ١٣.
(٤) تركستان الصينية ٣٤.

باشكيريا، وجمهورية تتاريا[١].

وعندما دخلت هذه الدول في الإسلام اتخذت اللغة العربية لساناً والخط العربي كتابا وانتقلت إليها أوزان الشعر العربي وهاجرت إليها جماعات عربية كبيرة واستقرت في هذه البلاد، ولا تزال أقوام من العرب يتحدثون العربية في أوزبكستان حول بخارى وسمرقند حتى عام ١٩٥٩م[٢].

وهذا يدل على استمرارية اللغة العربية وأنها لم تنقطع منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم على ألسنة الناس.لأن اللغة العربية بعد الفتح أصبحت لغة تركستان وسكنتها أقوام كثيرة من العرب ولكن بعد إحياء اللغة الفارسية حصل الانفصال بين العرب الذين في تركستان وبين البلاد الناطقة بالعربية ولكن وجود عرب يتكلمون بالعربية في هذه البلاد حتى العصر الحديث يدل على تمكن الإسلام واللغة العربية في تلك المناطق.

واللغات التركية أو الأتراكية[٣] هي اللغة القازاقية، واللغة الأوزبكية، واللغة التركمانية، واللغة القيرغيرية، واللغة التتارية، واللغة الباشكيرية، واللغة الآذرية وهي لغة أذربيجان واللغة التركية وهي لغة الدولة العثمانية.

وعلى الرغم من هذا التنوع فإن لغات الترك متقاربة تقاربا بعيداً وتتفق هذه اللغات في بنيتها النحوية وفي المعجم الأساسي المشترك بصورة تسمح في حالات كثيرة أن يتفاهم أبناء بعض هذه اللغات،

(١) المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ٦٣.
(٢) ينظر: عرب وسط آسيا في أفغانستان ٣٠، واللغة العربية في العصر الحديث ١٦٠.
(٣) ينظر: اللغة القومية والعالمية ١٥٨.

وكأنهم أبناء لهجات مختلفة للغة واحدة[1]. ومع هذا كله فإنه من الممكن تصنيف اللغات التركية على أساس درجة تقارب كل لغة مع الأخرى إلى عدة مستويات لغوية وأفرع لغوية. واللغات المتجاورة تكون أقرب إلى بعض من اللغات المتباعدة فمثلاً اللغة الآذرية تعد أقرب اللغات – من جانبي البنية النحوية والمعجم الأساسي – من اللغة التركية ومن الممكن أن يتفاهم آذري بلغته، مع تركي أناضولي بلغته، في موضوعات كثيرة دون أن يكون أحدهما قد تعلم لغة الأخر، وكأن اللغتين لهجتان للغة واحدة[2]، ويقال مثل ذلك في اللغة القازاقية مع الأوزبكية.

وأهم اللغات التركية ذات التراث:

أ- اللغة التركية:

وهي لغة الدولة العثمانية و أهم اللغات التركية في التعبير عن الحضارة الإسلامية، وهي لغة الجمهورية التركية وأهم اللغات التركية في العصر الحديث، يرجع تاريخ اللغة التركية إلى القرن الثالث عشر الميلادي وقد ازدهرت هذه اللغة في إطار الدولة العثمانية، ولذا تأثرت كثيراً بالعربية والفارسية، لأنه منذ ابتداء القرن الثامن الهجري والرابع عشر الميلادي، كان ينظر إلى تاريخ العرب والفرس كأنه ((أحد الأنهر التي تصب في بحر تاريخ العالم العام))، وكانت اللغات العربية والفارسية والتركية تستوعب مجالات التعبير الحضاري في الجناحين الغربي والأوسط من العالم الإسلامي، ولذلك قيل بأن لغة العثمانيين تتألف من ثلاث لغات هي العربية والفارسية

(١) مدخل إلى علم اللغة ١٣٤.
(٢) مدخل إلى علم اللغة ١٣٨.

والتركية، وتسمى اللغة التركية في هذه الفترة باسم التركية العثمانية، وكانت تدون بالخط العربي وقد عاشت التركية العثمانية في إطار الحضارة الإسلامية، وكانت المثل الثقافية في إطار الدولة العثمانية تجعل اللغتين العربية والفارسية أهم أدوات الثقافة الرفيعة، وأدى الاهتمام بالعربية والفارسية إلى دخول عدد كبير، من الألفاظ العربية والفارسية إلى التركية، ويتضح هذا التأثير بصفة خاصة في المجالين الديني والثقافي[١].

بـ اللغة الآذرية :

وهي لغة آذربيجان وتسمى هذه اللغة باسم ((آذرى)) واللغة الآذرية هي اللغة السائدة في جمهورية آذربيجان، وتوجد جماعات آذرية في إيران، وكانت اللغة الآذرية في إطار الحضارة الإسلامية إحدى اللغات التي صنفت بها المؤلفات الأدبية، وهناك تراث أدبي آذري منذ القرن الثالث عشر الميلادي وبهذا تكون الآذرية أقدم في الاستخدام الأدبي المدون من اللغة التركية، وكان الأدباء الآذريون يجيدون العربية والفارسية، ولهذا ظهرت ألفاظ عربية وفارسية كثيرة في أشعارهم وكتاباتهم، وكتبت الآذرية بالخط العربي حتى خضعت للحكم الروسي[٢] فاتخذت الخط الكيريلي الروسي ثم استقلت أخيراً عن الحكم الروسي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، أما اللغة الآذرية في إيران فتكتب إلى اليوم بالخط العربي[٣].

جـ اللغة الجغتائية:

وهي إحدى اللغات التركية ذات التاريخ الأدبي والثقافي، وقد دون

(١) ينظر: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٣٢، ومدخل إلى علم اللغة ١٣٦
(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ١٣٨.
(٣) المرجع السابق ١٣٨.

الأدب الجغتائي منذ القرن الثالث عشر الميلادي، بالخط العربي وكانت اللغة الجغتائية زاخرة بالألفاظ الفارسية والعربية، وكان تراثها محاكاة للتراث الفارسي والعربي، وظلت اللغة الجغتائية أهم لغات شرقي دولة التتار، إلى أن قام الأوزبك بطرد التتار من وسط آسيا وشرقي إيران في القرن السابع عشر، فأخذت لهجتهم الأزبكية في السيادة(١).

وأهم اللغات الأتراكية(٢) في العصر الحديث، اللغة التركية العثمانية وهي اللغة الرسمية للجمهورية التركية، وهي لغة أتراك الأناضول، و(تراقيا) الشرقية، ومنذ تأسست الدولة العثمانية في أواخر القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي نشأ لهذه اللغة أدب عثماني يعرف اليوم باسم الأدب التركي.

واللغة التركية العثمانية متأثرة تأثراً كبيراً باللغة الفارسية الحديثة المتأثرة باللغة العربية، وذلك أن العثمانيين بنوا دولتهم على أطلال دولة السلاجقة في الأناضول، وخلفوها في ملكها وورثوا عنها سلطانها وتراثها الأدبي الفارسي، لأن السلاجقة وإن كانوا من الترك إلا أن الفارسية كانت لغتهم الرسمية، وقد بلغت الفارسية على عهدهم شأوا بعيد المدى فكان الشعر في الذروة من دقة المعنى وفصاحة المبنى، فنشأ العثمانيون في بيئة أدبية شعرها فارسي فتأثروا أبلغ الأثر بالأدب الفارسي، ونظروا إليه نظرتهم إلى مثال يحتذى(٣) ولذلك فقراءة التركية في أدبها القديم بخاصة تستوجب إلماماً كافيا بالفارسية وما ذاك إلا لورود ألفاظها، وتراكيبها، في الجملة التركية و قد تبلغ من الكثرة مبلغاً يجعل بعض الجمل كلاماً

(١) المرجع السابق ١٣٨

(٢) اللغة القومية والعالمية ١٥٨.

(٣) ينظر: تاريخ الأدب التركي ٢١.

فارسيا في لفظه تركيا في نحوه[1]. وأصبحت الآثار الأدبية للغة الفارسية نماذج نسج على منوالها شعراء اللغة العثمانية وظلت الفارسية لغة العثمانيين الرسمية، في مكاتباتهم ودواوينهم إلى عهد مراد الأول. وقد أثرت تأثيراً عميقاً في نشأة الأدب التركي وتطوره[2].

فاللغة التركية العثمانية متأثرة باللغة العربية من جهتين : الجهة الأولى عن طريق الفارسية الحديثة المتأثرة بالعربية. وقد بينا في الفصل الأول أن اللغة الفارسية قد أخذت من العربية أكثر من خمسين في المائة من ألفاظها وأخذت مصطلحات علوم النحو، والبلاغة، وأوزان الشعر العربي، والخط العربي وقد نقلت هذا كله إلى التركية واستمر هذا بكثرة إلى عهد السلطان محمد الفاتح.

والجهة الثانية عن طريق العربية مباشرة وهذه لا تنفك عن أي لغة يتكلمها المسلمون وخاصة الألفاظ المتعلقة بالدين كألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وإنما تختلف من زمن إلى زمن وقد زاد تأثر التركية بالعربية منذ عهد السلطان محمد الفاتح وظهر هذا التأثير جلياً بعد دخول البلاد العربية، في حكم الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول، وفي هذا العهد الذي زادت فيه العربية نقصت فيه اللغة الفارسية، فيمكن أن نقسم العصر العثماني من حيث تأثير العربية في التركية إلى قسمين، القسم الأول الذي كثر فيه تأثير العربية في التركية عن طريق الفارسية، ويبدأ هذا من أول عهد الدولة العثمانية إلى عهد السلطان محمد الفاتح. والقسم الثاني الذي كثر فيه تأثير العربية في التركية مباشرة، وهذا يبدأ منذ دخول البلاد العربية في حكم الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الأول، وإن كان تأثير العربية قد بدأ في الازدياد منذ عهد السلطان محمد الفاتح.

(١) المرجع السابق ٥.
(٢) ينظر: في الأدب المقارن ٢٧٠.

أما تأثير العربية في التركية بشكل عام فهذا متواصل، منذ دخول الأتراك في الإسلام إلى اليوم ولكن يزيد أحياناً وينقص أحياناً.

وهذه أمثلة للقسم الأول أو الجهة الأولى والتي بدأ فيها العثمانيون ينظمون تراثهم باللغة التركية على شكل منظومات على غرار المنظومات الفارسية أي أن المنظومة هي عبارة عن موسوعة يحشد فيها الشاعر معارف عصره. وتنسب باكورة الشعر التركي إلى أبيات قالها جلال الدين الرومي صاحب المثنوي المشهور[1] ثم تتابع بعده الشعراء كالنحو التالي:

١- سلطان ولد بن جلال الدين الرومي المتوفي سنة ٧١٢هـ صاحب أول منظومة باللغة التركية العثمانية واسمها (ربابنامه) أي كتاب الرباب وهي أقدم أثر شعري بهذه اللغة وهو في شعره هذا لا يورد من الألفاظ العربية والفارسية إلا قليلاً[2].

٢- عاشق باشا الذي عاش في مدينة قيرشهر بالأناضول، على عهد السلطان عثمان أورخان، ولد سنة ٦٧٠هـ وتوفي سنة ٧٣٣هـ، وهو صاحب منظومة تعرف باسم (غريبنامه)[3] أي كتاب الغريب، وهي من بحر الرمل ونمطها الشعري هو المثنوي.

٣- سليمان جلبي وله منزلة مرموقة في تاريخ الأدب التركي لمنظومة له تسمى (وسيلت النجات)[4] تأثر بها كثير من الأتراك.

٤- القاضي برهان الدين، وله شعر بالعربية والفارسية والتركية، وهو أول ناظم للرباعيات وأول شاعر غنائي من الترك الغربيين،

(١) ينظر: تاريخ الأدب التركي ٢٤.
(٢) في الأدب المقارن ٣٠٠، وتاريخ الأدب التركي ٢٤.
(٣) تاريخ الأدب التركي ٣٦.
(٤) المرجع السابق ٣٨.

وأول شعراء الحب في الأناضول[1].

٥- حمد داعي وكان يحذق العربية والفارسية وله منظومات فيهما وألف كتاباً لغوياً عن الفارسية، والعربية سماه (عقود الجواهر) وله ترجمة شعرية عن الفارسية في النحو من تأليف رفيع الدين الوطواط وعدد أبياتها ستمائة وخمسون، وألّف رسالة في أدب الرسائل هي الأولى من نوعها في الأدب التركي، ويقول قدماء مؤرخي الأتراك إن ديوانه كان معروفا متداولا[2].

٦- محمد بن صلاح الدين وأخوه أحمد، لمحمد رسالة منظومة بعنوان مغارب الزمان، نظمها محمد بالعربية وترجمها أخوه أحمد إلى التركية وسماها (أنوار العاشقين) كما أن محمداً ترجم منظومته العربية (مغارب الزمان) إلى التركية نظماً سماه (المحمدية) والمحمدية منظومة في تسعة آلاف ومائة بيت وتسعة، وهي ليست من بحر واحد بل من بحور متعدده تبلغ السبعة[3].

ونلاحظ أن أغلب أصحاب هذه المنظومات يعرفون العربية، ينظمون بها ويؤلفون.

وهذه أمثلة من المنظومات الفارسية التي ترجمها الأتراك إلى منظومات تركية.

١- قصة خسرو وشيرين: وقد دخلت هذه القصة إلى الأدب العثماني في أول عهد اللغة التركية الغربية بفن المثنوي وكان الشاعر الحكيم سنان هو أول من نظم هذه القصة ويرجع الفضل إليه في إدخال فن المثنوي القصصي إلى اللغة التركية الغربية بدأ نظمها

(١) المرجع السابق ٤٨.
(٢) المرجع السابق ٥٠.
(٣) ينظر: تاريخ الأدب التركي ٥٩.

عام ٨٢٤هـ وتوفي قبل أن يتمها.وقد نظم هذه القصة الشاعر علي شيرنوائي باللغة التركية الشرقية المعروفة الجغتائية(١).

٢- اسكندر نامه: دخلت هذه القصة الشعر التركي العثماني منذ وقت مبكر على يد الشاعر أحمدي الذي نظم مثنويا باسم (اسكندر نامه) وانتهى منه عام ٧٩٢ﻫ وتتكون هذه المنظومة من ثمانية آلاف ومئتين وخمسين بيتاً(٢).

٣- قصة ويس ورامين: نظمها بالتركية الشاعر لامعي(٣).

٤- قصة (هفت بيكر): انتقلت هذه القصة إلى الأدب التركي في منظومة للشاعر لامعي اسمها(هفت بيكر)(٤).

٥- قصة ليلى والمجنون: ظهرت منظومات كثيرة في الأدب التركي حول ليلى والمجنون أهمها منظومة الشاعر علي شيرنوائي باللغة التركية الشرقية، ومنظومة الشاعر حمدي باللغة التركية الغربية أي العثمانية(٥).

٦- منظومة يوسف وزليخا: للشاعر التركي حمدي وقد نظمت عام ٨٩٧هـ(٦) ومنظومة يوسف وزليخا لأحمد سليمان بن كمال باشا وهو مثنوي بلغ عدد أبياته سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة وسبعين بيتا وهي مهداة إلى السلطان يزيد(٧).

---

(١) ينظر: في الأدب المقارن ٣٢٦.
(٢) المرجع السابق ٣٥٠.
(٣) ينظر: في الأدب المقارن ٣١٦.
(٤) المرجع السابق ٣٤٨.
(٥) المرجع السابق ٣٤٠.
(٦) المرجع السابق ٤٠٠.
(٧) المرجع السابق ٤٠٣.

وأما القسم الثاني أو الجهة الثانية وهي تأثير العربية في التركية مباشرة فتبدو بوادرها في عهد السلطان محمد الفاتح إذ إن هذا السلطان كان يجيد العربية، ويداوم على المطالعة في كتبها حتى قيل إن جمهرة الكتب في مكتبته الخاصة كانت عربية(١).

وبدخول البلاد العربية في الدولة العثمانية عام ٩٢٣هـ في عهد السلطان سليم الأول يزداد تأثير العربية في اللغة التركية إذ نجد أن هذا السلطان يعد من طليعة الشعراء في العربية والفارسية والتركية(٢) ثم تزداد حركة الشعر في عهد السلطان سليمان القانوني والذي يعتبر عصره العصر الذهبي للأدب التركي فقد نبغ فيه مائتا شاعر، وفي هذا العصر أصبحت، اللغة العربية لغة ثقافة بجانب التركية والفارسية.

وبعد هذا العصر أخذت الألفاظ العربية، تنتشر بين المثقفين الأتراك بشكل كبير، وهذا ما لاحظه العالم المجري الذي درس الأدب الشعبي التركي ولغة المثقفين الأتراك وقارن بينها وبين لغة العامة وقد هاله كثرة الألفاظ العربية إذ يقول: إن اللغة التي يقرأها لا تشبه لغة الحديث كثيراً ففي الجملة المؤلفة من ثلاثين كلمة مثلا وجد عشرين كلمة عربية وسبع كلمات فارسية ولم يجد من التركية إلا ثلاث كلمات(٣) ولذلك قيل: إن الألفاظ العربية في اللغة التركية أضعاف الألفاظ الفارسية فيها أو بمعدل لفظ تركي مقابل ثلاثة ألفاظ عربية(٤). وقد أحصى بعض الباحثين الألفاظ العربية الموجودة في اللغة التركية فوجدها تشكل أكثر من نسبة خمسة وستين في المائة

(١) ينظر: تاريخ الأدب التركي ٦٦.
(٢) من أدب الترك والفرس ١٧.
(٣) تاريخ الأدب التركي ٢٦٥.
(٤) الفصحى لغة القرآن ٨٠.

من ألفاظ اللغة التركية[1].

هذا بالإضافة إلى قواعد النحو وعلوم البلاغة وأوزان الشعر العربي والخط العربي الذي ظلت تكتب به اللغة التركية العثمانية إلى سنة ١٩٢٨م.

وقد صحب الاستعمار هجوم شديد وشرس، على اللغة العربية والخط العربي، واجتاحت العالم الإسلامي موجات من الحملات التي تدعو إلى استبدال الحروف العربية، بحروف لاتينية، ومصادرة الألفاظ العربية، من لغات الدول الإسلامية، أو من الدول التي كتبت لغاتها بالخط العربي، أو الأبجدية العربية، واستبدال الألفاظ العربية بألفاظ أجنبية أي لاتينية غربية، فإن لم يكن ذلك، فاستبدال الألفاظ العربية بألفاظ قديمة من ألفاظ تلك اللغات، وكانت تركيا في طليعة الدول الإسلامية التي طبقت هذا النهج على لغتها، وذلك بعد سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م وقيام الجمهورية التركية، إذ أعلن مصطفى كمال إقصاء الحروف العربية وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية، وقد انطوت هذه الخطوة على حملة ضخمة مركزه على اللغة العربية، بدأ ذلك ١٩٢٧م وتمت عام ١٩٢٨م ثم جرى تصفية اللغة التركية، من الكلمات العربية، حيث عقد عدد كبير من المؤتمرات التي قامت، بإخراج ثلاثة عشر ألفاً وستمائة وخمسين كلمة عربية حلت بدلاً منها كلمات تركية، حيث اعتبرت الكلمات العربية كلمات أجنبية[2].

وقد حاولت الحكومات التركية بقرارات رسمية، التخلص من كلمات عربية وفارسية كثيرة كانت قد دخلت التركية، وإحلال كلمات

(١) من قضايا اللغة العربية المعاصرة ٢٦٠.
(٢) ينظر: الفصحى لغة القرآن ١٠٩، ومدخل إلى علم اللغة ١٣٧.

تركية بديلة. وعلى الرغم من كل هذه المحاولات فقد ظلت نسبة عالية من الألفاظ العربية والفارسية مستقرة في اللغة التركية، ولا تزال الدولة تسمى نفسها رسمياً باسم Turkiye CÜmhuriyeti دون رفض كلمة (الجهورية) وهي كلمة عربية ولكن تحول الكتابة عن الخط العربي إلى الخط اللاتيني أوقف دخول كلمات عربية جديدة، وفتح الباب لدخول ألفاظ كثيرة من اللغات الأوربية(١).

ومهما بذل من جهد لتصفية الألفاظ العربية، من اللغة التركية فإنه لن يؤدي إلى إخراج جميع الألفاظ العربية، بل ستبقى ألفاظ كثيرة لأنه لا يمكن تصفية خمسة وستين بالمئة من ألفاظ اللغة التركية، وهي النسبة التي تشكلها الألفاظ العربية.

ومن الطريف أن بعض الألفاظ التي جاء بها الأتراك لتكون بدلاً عن ألفاظ عربية أقصيت من اللغة التركية هي عربية، أيضا، يبين ذلك هذه القصة التي يرويها الدكتور على الشابي إذ يقول: (في صائفة ١٩٦٦م قابلت الأديب الأستاذ على دشتي في منزله بشميران، في طهران، فجرى حديث بيننا حول أهمية اللغة العربية وتأثيرها في اللغات الإسلامية، فأفادني بأنه كان سفيراً لإيران في تركيا سنة ١٩٢٨م وفي تلك السنة عمد الأتراك إلى اعتماد الأبجدية اللاتينية، واجتثاث الألفاظ العربية والفارسية، من لغتهم تعصباً لطورانيتهم في ظل الانقلاب الكمالي، وصادف أن لقي في إحدى الحفلات وزير الثقافة التركي آنذاك، فأعلمة الوزير أن الكلمة العربية (التبريك) أزيلت من اللغة التركية وعوضت بكلمة تركية، فبادر الأستاذ علي دشتي بسؤاله عن الكلمة التي عوضتها فقال له ممططاً شفتيه (يمن) فقال له الأستاذ دشتي: يا معالي الوزير أن (يمن) كلمة

(١) مدخل إلى علم اللغة ١٣٧.

عربية هي الأخرى...فلم ينبس ببنت شفة)[1].

ولا ريب أن استعمال الأتراك للحروف اللاتينية قد أفقدهم تراثاً ضخماً يتمثل في مئات المجلدات من الأدب والفن والثقافة التي كتبت باللغة القديمة. فالغرض من الكتابة باللاتينية هو التشبه بالغرب ولم يجن منها الأتراك الفائدة الجزيلة التي كانوا يحلمون بها، فلا غنية لمتأدب تركي عن معرفة القراءة بالحروف العربية ليطلع على التراث الأدبي القديم وليس في الإمكان نقل الكتب القديمة من حروفها العربية إلى الحروف اللاتينية[2] وهذا ينطبق على جميع الدول التي كان لها تراث مكتوب بالخط العربي.واتخذت الحروف اللاتينية بدلاً من العربية.

(١) من قضايا اللغة العربية المعاصرة ٦٣.
(٢) ينظر: الفصحى لغة القرآن ١٠٩، وتاريخ الأدب التركي ٢٦٣.

الفصل الثالث

أثر العربية في الهندية ـ الأوردية

تشتمل شبه القارة الهندية اليوم على الهند وباكستان وبنجلاديش ونيبال، واختلف الناس في منشأ تسمية هذه البلاد بالهند، فمنهم من نسبها إلى الإله (إندرا) إله الهند القديم، ومنهم من ردّها إلى السند الذي كان يعرفه الفرس القدماء باسم (هِند هو) أي النهر، جريا على عادتهم في إبدال السين السنسكريتية بالهاء، وكان نفوذهم قبل غزو الاسكندر قد عم الجزء الغربي من هذه البلاد وتوغلوا فيه، وهؤلاء الفرس هم الذين أطلقوا اسم الهندستان (أي الأنهار) على الشمال بأكمله من هذا الإقليم(١).

وتضم شبه القارة الهندية عدداً كبيراً من اللغات واللهجات يربو على أربعمائة(٢)، وترد هذه اللغات الكثيرة إلى أصلين اثنين هما:

الأصل الأول الدرافيدي وإليه ترد أغلب لغات الجنوب ومناطق متفرقة في الوسط والشرق ومن أشهر لغات هذا الأصل(٣).

أ- التأميلية ومنطقتها في الجنوب الشرقي من بلاد الهند (مقاطعة مدراس).

ب- الكنارية ومنطقتها حول مدينة (ميسور) في الجنوب الغربي من الهند.

ج- التلوجو ومنطقتها الشاطيء الشرقي من الهند شمالي منطقة التأميلية.

والأصل الثاني الآري وهو أحد فروع (اللغات الهندية - الأوربية) وإليه ترد أغلب لغات الشمال وقسم من لغات الوسط، ومن

---

(١) ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ٣/١.

(٢) انتشار الإسلام في العالم ٤٦.

(٣) اللغة القومية والعالمية ١٥٩، وعلم اللغة وتاريخ المسلمين ٢٤/١.

أشهر لغات هذا الأصل في القديم:

أ - اللغة السنسكريتية وهي أشهر لغات الهند الآرية كتبت بها الأناشيد الهندية وكتب المعرفة الهندية القديمة(١) وهي أقدم لغة من لغات العالم، تناولها البحث النحوي، فاللغوي الهندي بانيني وضع قواعد السنسكريتية حوالي عام ٤٠٠ ق م(٢).

ب- لغة بالي وهي لغة بوذا والبوذية(٣).

وأما أشهر لغات هذا الأصل أي الآري الهندي في العصر الحديث فهي :

أ - الهندية – لأوردية وهي أهم لغات الهند اليوم

ب- البنجالية وهي أوسع لغات شرقي القارة الهندية انتشاراً في منطقة كلكتا وما حولها في الهند وفي بنجلاديش(٤).

ج- البنجابية وهي أهم لغات الشمال الغربي من شبه القارة الهندية تنتشر في الهند وباكستان.

د - المهراتية وتنتشر في منطقة بومباي غرب الهند.

وليس ثمة علاقة بنيوية بين أسرة اللغات التي تنضم تحت الأصل الأول وهو الدرافيدي، وبين أسرة اللغات التي تنضم تحت الأصل الثاني وهو الآري فكلتاهما أسرة مستقلة(٥).

والذي يهمنا في هذا البحث هو اللغة الهندية – الأوردية، وكيف أثرت فيها العربية وإن كانت العربية قد أثرت في أغلب لغات الهند الأخرى، ولأن انتشار العربية مرتبط بانتشار الإسلام فإن هذا يلزم منه معرفة دخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية.

دخل الإسلام إلى شبة القارة الهندية مبكراً على أيدي العرب عن

(١) مدخل إلى علم اللغة ١٠٢، وتاريخ المسلمين ١/ ٢٤.

(٢) مدخل إلى علم اللغة ١٠٢.

(٣) المرجع السابق ١٠٢.

(٤) ينظر: اللغة بين القومية والعالمية ١٥٦.

(٥) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ١٠٢.

طريق الدعوة وعن طريق الفتح.

انتشار الإسلام بالدعوة:

لقد كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب، وسكان سواحل جنوب الهند، منذ مئات السنين قبل الإسلام، وكانت الجاليات العربية تقيم في هذه السواحل، وخاصة ولاية كيرالا، التي تقع في أقصى الجنوب الغربي، ومنها الميناء الشهير الذي يسمى كاليكوت، وهو الذي لعبا دوراً كبيراً في التجارة العالمية مع الشعوب العربية منذ القدم،والمنطقة التي يقع فيها هذا الميناء تسمى مليبار تلك التي توافد عليها العرب منذ القدم، وأنشأوا فيها جالياتهم قبل الإسلام، وزاد نشاطهم بصورة مذهلة بعد الإسلام(١)، كما ذكر بعض المؤرخين أن جالية عربية كانت تقيم في كليان على مقربة من مدينة بومباي قبل الإسلام(٢).

ولما سمع العرب المقيمون في جنوب الهند، عن ظهور الإسلام، في شبه الجزيرة العربية، دخلوا فيه بعد سنوات قليلة، من بعثة الرسول ﷺ، وبدأت الجاليات العربية في بلاد الهند، بالدعوة إلى الإسلام، وكان الإسلام قد أثر في الحياة الإجتماعية للعرب بشكل ملحوظ مما جعل الهنود،يتعجبون ويسألون عن السبب في ذلك،حتى علموا منهم بظهور دين جديد في الجزيرة العربية، وهو الإسلام وكانوا يناقشون المسائل الإنسانية،من خلال تعاليمه السامية العادلة،كما كان بعض العرب يدعون إلى الإسلام،منتهزين الفرص.ثم أخذ نشاط العرب في الأزدياد.بعد دخول العرب في الإسلام،وبعد قيام جاليات عربية جديدة في المدن الساحلية وأخذت هذه الجاليات العربية تقيم المساجد في مواني مليبار دون أن تلقى تعصباً أو اضطهاداً من

(١) الهند القديمة ٢٠، وانتشار الإسلام ٤١.
(٢) ينظر: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية ١٣.

الحكام الهندوس وذلك لأن العرب كانوا يساهمون بقسط كبير في النشاط التجاري وفي زيادة الدخل القومي لبلاد الهند مع عدم تدخلهم في الأمور السياسية فيها، ولذلك كان الحكام والعوام من الهنود يعاملونهم معاملة طيبة وباحترام بالغ(١).

ومنذ أوائل القرن الأول الهجري أخذت الجاليات العربية تزداد توسعاً بمرور الزمن حتى ارتفعت نسبة السكان العرب في بعض المدن بالسواحل الجنوبية إلى عشرين في المائة، وهذه النسبة الكبيرة للعرب، لم تكن لقدوم العرب الجدد من الخارج فحسب بل كانت أيضا بسبب زواج العرب من نساء، تلك البلاد وكثرة الإنجاب، وكان أولادهم منهن يعاملون أيضاً معاملة العرب الأجانب، مما زاد في عدد المسلمين وانتشار الإسلام(٢) وفي أوائل القرن الثالث الهجري اعتنق صاحب كاليكوت الإسلام(٣)، ولم يحل القرن الثامن الهجري حتى كان الكثيرون من سكان سواحل الهند من كجرات إلى مليبار إلى المعبر إلى البنغالة قد اعتنقوا الإسلام، ويعود الفضل الأكبر في ذلك إلى التجار والدعاة العرب والفرس الذين استقروا في البلاد وتزوجوا من أهلها ومهدو لانتشار الدعوة(٤).

ومن المعروف أن جنوب الهند الذي يتكون من أربع ولايات هي مدراس وميسور وأندرا براديش وكيرالا وموانيه الشهيرة كانت غاصة بتجارة العرب، وظل على اتصال وثيق دائم مباشر ببلاد العرب.

ولذلك دخل الإسلام هذه المنطقة قبل دخول الجيوش الإسلامية في المناطق الشمالية من شبه القارة الهندية، بل عن طريق سواحل الهند الجنوبية وخاصة منطقة مليبار، انتقل الإسلام ولغته العربية إلى

---

(١) ينظر: انتشار الإسلام ٤١، والبعد الديني للغة العربية ٤٧.
(٢) انتشار الإسلام ٤٣.
(٣) البعد الديني للغة العربية ٤٧.
(٤) ينظر: انتشار الإسلام ٤٢، والبعد الديني للغة العربية ٤٧.

جنوب شرق آسيا، فمن طريق مليبار اتصل المسلمون بالشعب الماليزي منذ القرن الأول الهجري، وذلك من خلال التجارة الواسعة التي كانت قائمة فعلاً قبل الإسلام بقرون عدة بين كل من الهند والصين وأرخبيل الملايو[1].

انتشار الإسلام بالفتح:

أما انتشار الإسلام بالفتح بعد الدعوة فيبدأ منذ سنة ١٥ هـ إذ جهز في هذه السنة والي عمان والبحرين من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حملات فتحت مدينتي (تهانة) و (بهروج) على الساحل الجنوبي من بلاد الهند ومدينة (الديبل) على الساحل الجنوبي من بلاد السند وتقع في موضعها الآن مدينة كراتشي في باكستان[2] وفي سنة ٢٠٣هـ فتح المسلمون إقليم مكران من بلاد السند (باكستان) ووصلت جيوش المسلمين إلى الضفة الغربية من نهر السند ولم تعبره[3].

وفي سنة ٩٢هـ فتحت جميع بلاد السند (باكستان) بقيادة محمد بن القاسم مما جعل هذه البلاد مركزاً هاماً لنشر الإسلام ولغته في شبه القارة الهندية. وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بلغت فتوحات المسلمين يوجين ومالوه والكجرات عند شرقي السند وجنوبه[4] وهي جزء مما يعرف اليوم بالهند أي أن الفترحات تجاوزت الباكستان وضمت جزءاً من الهند الحالية.

وبعد فتح السند (باكستان) وجزءاً من الهند، وفد إلى هذه البلاد أفخاذ من القبائل العربية التي كانت قوام جيش الفتوح في الغالب منهم، فاستوطنوا هذه البلاد ثم أصهروا إلى أهلها بعد قليل على ما

(١) ينظر: الهند القديم ٢٦٢، والبعد الديني للغة العربية ٤٨.
(٢) ينظر: انتشار الإسلام ٤٥.
(٣) المرجع السابق ٤٩.
(٤) تاريخ المسلمين ٦٨/١.

فعل أفخاذ أخرى لهم بأغلب البلاد التي فتحوها. كذلك كانت لهم مشاركة ناجحة في نشر تعاليم الدعوة الإسلامية والعربية لغة وكتابة بين السنديين[1]، وأصبحت العربية لغة التخاطب في بلاد السند من الفتح إلى القرن الثامن الهجري[2].

وهكذا نرى العربية، كيف دخلت شبه القارة الهندية، وأصبحت لغة التخاطب في بعض أجزائها بل تجاوزتها إلى الجنوب الشرقي من آسيا، هذا عن دخول الإسلام والعربية في شبه القارة الهندية عن طريق العرب.

أما عن طريق غيرهم من الأقوام الإسلامية الأخرى فقد حصل ذلك عندما ضعفت الدولة العباسية في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين، إذ استقلت بعض الولايات في المشرق الإسلامي، واتخذت اللغة الفارسية لغة رسمية، لها بدلاً من العربية، لتتميز عن الخلافة العباسية لغويا، كما تميزت سياسيا، وتطلعت بعض هذه الدول إلى أن تتم ما بدأه العرب من فتح لشبه القارة الهندية فبدأت بغزو الهند من جهة الشمال ثم توالت بعد ذلك فتوح المسلمين لشبه القارة الهندية حتى استظلت بحكم الإسلام جميع أرجائها وهذه هي الدول التي قامت بهذه الفتوح.

١- الدوله الغزنوية : وأشهر حكامها محمود الملقب (بيمين الدولة وأمين الملة)[3] غزا الهند سبع عشرة مرة في مدى سبعة وعشرين عاماً فيما بين عامي ٣٩١هـ - ٤١٧هـ حتى خضع له شمال شبه القاره الهندية من بنارس إلى غزنة ومن الهملايا إلى الدكن[4].

٢- الدولة الغورية وقد جاءت بعد الدولة الغزنوية وبلغت أوج

(١) المرجع السابق ٧٦/١.
(٢) الفصحى لغة القرآن ٨٣.
(٣) ينظر: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٤٧٥.
(٤) تاريخ انمسلمين ٨٧/١.

اتساعها في عهد محمد الغوري إذ خضع لها شمال الهندستان كله ومعه إقليم كواليار خضوعاً تاماً[1] وعلى أيدي رجال محمد الغوري بدأ الحكم الحقيقي للمسلمين بالهند، فقد تحول الغزاة إلى الاستقرار والإقامة الدائمة بالبلاد، التي فتحوها، وذلك بعد أن اتخذوا دهلي قاعدة لهم، وبهذا احتفظت الهند بأموالها وثرواتها في نطاق شبه القارة نفسها، فلم يعدو الأمر انتقال أجزاء منها من أيدي الهنادكة إلى أيدي المسلمين، الذين صار لهم هناك دولة قوية مرهوبة الجانب وسيعة الرقعة عظيمة السلطان[2].

٣- الدولة الخلجية وبلغت أقصى اتساعها في عهد السلطان علاء الدين، الذي جلس على عرش الهند في دهلي عام ٦٩٥هـ، وأخذ في توسيع مملكته ولم تمض سنة ٧٠٦هـ حتى كانت مملكته تمتد من البنجاب إلى البنغال ومن جبال الهملايا إلى تلال الوندهايا، وهي الرقعة التي اصطلح المؤرخون على إطلاق اسم الهندستان عليها[3]. وواصل فتوحاتة جنوبا حتى تم له إخضاع الجنوب الهندي كله، ولم يهل عام ٧١٢هـ حتى كان سلطان الخلجيين يظل شبه القارة الهندية بأكملها[4].

٤- دولة آل تغلق : بلغت أقصى اتساع لها في عهد السلطان محمد تغلق، إذ كانت تمتد من الهملايا إلى جنوب الدكن، ومن البنغال إلى أرض كابل[5]، واستمرت هذه الدولة حتى قضى عليها التيموريون سنة ٨١٧هـ فانفرط عقد الدولة الإسلامية في الهند وتفككت إلى دويلات وهو ما عرف بعهد ملوك الطوائف.

---

(١) المرجع السابق ١/١١٩.
(٢) المرجع السابق ١/١١٩.
(٣) ينظر: تاريخ المسلمين ١/١٥٨.
(٤) المرجع السابق ١/١٦٠.
(٥) ينظر: تاريخ المسلمين ١/١٧٤.

٥- الدولة المغولية التي أقامها ظهير الدين محمد بابر حفيد تيمورلنك وجنكيز خان في سنة ٩٢٣هـ واستمرت ثلاثة قرون اتسعت فيها رقعتها حتى شملت شبه القارة الهندية بأكملها وهي أكبر دولة عرفتها هذه البلاد[١] وبقيت هذه الدولة حتى قضت عليها بريطانيا في أثناء استعمارها لشبه القارة الهندية.

وكل هذه الدول قد اتخذت اللغة الفارسية الحديثة لغة رسمية لها اقتداءً بالدولة الغزنوية التي بذلت جهوداً جبارة لإحياء اللغة الفارسية وقد تم على يديها إحياء هذه اللغة وتطبيقها على المسلمين في مشرق العالم الإسلامي.ثم تتابعت الدول التي حكمت الهند على نهج الدولة الغزنوية.

وفي أواخر عهد الدولة المغولية وجدت بجانب اللغة الفارسية، لغة أخرى تسمى الأوردية وهي خليط من اللغة الفارسية لغة الدولة الرسمية واللغة التركية التي هي لغة الجيش المغولي الذي كان يضم أعداداً كبيرة من الأتراك في العهد المغولي الأول ثم أصبح يضم تركاً وهنوداً مسلمين وغير مسلمين[٢] ومن اللغة الهندية السنسكريتية ومن اللغة العربية لغة الدين وأصبحت اللغة الأوردية في آخر عهد المغول اللغة الأولى في الهند.

وإذا نظرنا في مكونات اللغة الأردية فإننا نجد ألفاظها تتكون من الألفاظ السنسكريتية ولألفاظ العربية والألفاظ الفارسية.

إذن الأوردية هي اللغة السنسكريتية التي دخلت فيها الكلمات العربية والفارسية بكمية كبيرة، مع سلامة هيكلها السنسكريتي وهندسة تراكيبها وقواعدها اللغوية[٣] فهي في قواعدها

(١) المرجع السابق ١/٢٦٤، ٢/١٩.
(٢) ينظر: الشعوب الإسلامية ٥٢٠.
(٣) الهند القديمة ٢٦٨، وتاريخ المسلمين ١/٢٦.

آرية خالصة[١] وهي أعظم لغات القارة الهندية، وأوسعها انتشاراً[٢] وهي اللغة المشتركة بين الهند وباكستان[٣].

ومن الأسماء التي تطلق على الأوردية اسم الهندية والهندستانية ويبدو أن إطلاق مصطلح أوردو على هذه اللغة الهندية التي تغمرها الألفاظ العربية والفارسية جاء في عصر الاستعمار البريطاني بعد تحكم البريطانيين في مصير الهند، فقد ذكر أن إنشاد عبدالقاهر حينما نقل القرآن الكريم إلى اللغة الأوردية عام ١٧٩١م قال في مقدمة ترجمته أنه نقل القرآن إلى اللغة الهندية[٤] وهذا يعني أن ما يعرف اليوم باللغة الأوردية كان إلى أواخر القرن الثامن عشر يعرف بالهندية، واسم الهندوستاني اسم لما يعرف بالأوردية عند الهندوس[٥].

وأول استخدام لكلمة أوردو بمعنى اللغة الأوردية كان عام ١٧٩٦م وأول استخدام لزبان أوردو – بكسر النون – بمعنى لغة المعسكر أو اللغة الأوردية كان عام ١٧٨٣م، وأول استخدام لزبان أوردو معلى : بمعنى لغة المعسكر الملكي، أو اللغة الأوردية المعظمة كان عام ١٧٥٢م[٦] ولكن كلمة أوردو. بمعنى اللغة وإن وردت كما في التاريخ السابق، إلا أنها بقيت غير متداولة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وداوم الناس على أن يذكروا كلمة هندي بدلا من أوردو[٧].

(١) تاريخ المسلمين ٢٦/١.
(٢) المرجع السابق ٢٥/١.
(٣) الهند القديمة ٢٦٨.
(٤) الأدب الإسلامي لقارة الهند الباكستانية ٩.
(٥) مدخل إلى علم اللغة ١٠٣.
(٦) ينظر: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية ٣٥.
(٧) المرجع السابق ٣٦.

لأن هذا المصطلح إنما استخدم في عصر الاستعمار الانجليزي بل إن الإنجليز هم الذين نشروا هذه اللغة، وجعلوها تحل محل اللغة الفارسية لغة المثقفين في الدولة المغولية، ولذلك فإنه عندما تم للبريطانيين استعمار الهند عملوا على اقتلاع الفارسية من هذه البلاد – بوصفها لسان المفكرين المسلمين، الذين جروا على مناهضتهم – حتى تزعموا آخر الأمر ثورة التحرير الهندية ضدهم، في منتصف القرن التاسع عشر فبذلوا جهوداً كبيرة لتنظيم أصول الأوردية ونحوها، وطبعوا كتبها، حتى عمت الهند على حداثة عهدها، وأزدهرت آدابها. ولا زالت للمطارحات الشعرية الأوردية بالهند كلها سوق رائجة حتى اليوم(١).

وكانت الأوردية هي لسان الزعماء المسلمين أمثال السيد أحمد خان، وإقبال وخلفائهما الذين نصبوا أنفسهم للنهضة بالمسلمين في الهند والدفاع عن حقوقهم بإزاء عداء البريطانيين المرير لهم. وقد عالج بالأوردية نفر من كتاب المسلمين والهنادكة كثيراً من الموضوعات الحديثة والقديمة فبرهنوا بذلك على مرونتها وصلاحيتها كل الصلاحية في العصور الحديثة، وهي اليوم اللغة الأولى في باكستان ومن أكثر اللغات تداولاً في جمهورية الهند(٢).

فاللغة الأوردية كانت تسمى قبل الاستعمار (الهندية) وبعد الاستعمار تسمى (الأوردية) والأوردية والهندية في لغة التخاطب بين الهنود لغة واحدة سواءً سميت الهندية أو سميت الأوردية.

ويبدو أن الانجليز ومن شايعهم عندما قضوا على اللغة الفارسية، وجعلوا الأوردية تحل محلها ظنوا أنهم قد قضوا على الألفاظ العربية الكثيرة التي كان يستعملها الهنود، ولكن ما حصل هو

(١) ينظر: تاريخ المسلمين ٢/٢٦١.
(٢) المرجع السابق ٢/٢٦١.

أن ما كان في اللغة الفارسية قد انتقل إلى اللغة الأوردية، بل دخلت ألفاظ أخرى مباشرة من العربية عن طريق جنوب الهند وغربه فما كان منهم إلا أن بدأو بتجريد اللغة الأوردية من الألفاظ العربية، وهذا ما سمي باللغة الهندية الحديثة لجمهورية الهند، فهي الأوردية، ولكن بتجريد أكبر قدر ممكن من ألفاظ العربية، فالأوردية والهندية لغة واحدة آخذه في الانقسام، يطلق عليها عند المسلمين لغة أوردو، أي لغة الجيش، وتسمى عند الهنود الهندوستاني، يكتب المسلمون الأوردية بالخط العربي مما يتيح الإفادة من ألفاظ فارسية وعربية كثيرة، فاللغة الأوردية إحدى اللغات الإسلامية، وشأن لغات الأمم الإسلامية على مرّ التاريخ أن تقبل ألفاظ عربية كثيرة أما الهندوس فيكتبون اللغة الهندوستانية بالخط الديفنجاري القديم ويحاولون التخلص بقدر الإمكان من الألفاظ العربية والفارسية وإحياء ألفاظ سنسكريتية قديمة، أو نحت ألفاظ جديدة بدلاً عن الألفاظ العربية والفارسية الدخيلة في الهندوستانية(١).

فاللغة الهندية لغة جمهورية الهند والتي تحاول حكومة الهند إعطاءها الصبغة الرسمية للبلاد كلها هي نفس اللغة الأوردية إلا أنها تكتب بالحروف السنسكريتية القديمة في حين تكتب الأوردية بالحروف العربية – وتغلب فيها الكلمات السنسكريتية على نفس مقدار الكلمات الفارسية والعربية في الأوردية(٢).

ولذلك قيل فيهما هما لهجتان للغة واحدة(٣) أو لغة آخذة في الانقسام(٤).

فنحن أمام عدة مصطلحات هي: <u>الهندية</u> – <u>الهندوستانية</u> – <u>الأوردية</u>.

(١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة ١٠٣.
(٢) الهند القديم ٢٦٨.
(٣) اللغة بين القومية والعالمية ١٥٦.
(٤) اللغة العربية في العصر الحديث ١٥٥.

فالهندية:

قبل الاستعمارتعني الأوردية وهي السنسكريتية التي كثرت فيها الألفاظ العربية والفارسية، وأما بعد الاستعمار فتعني لغة جمهورية الهند و هي الأوردية بعد تجريدها من أكبر قدر ممكن من الألفاظ العربية والفارسية، وأما الهندوستانية فهي تعني الأوردية أو اللغة التي تكثر فيها ألفاظ اللغة العربية والفارسية

فالهندية والهندستانية والأوردية من حيث التخاطب والتفاهم تعني شيئاً واحداً هو اللغة التي تكثر فيها الألفاظ العربية والفارسية، فيتخاطب الهندوس والمسلمون بلغة واحدة سواء سميت الهندية أو الهندرستانية أو الأوردية.

أما من حيث الاستعمال الرسمي فإن الهندوس يحاولون الرجوع إلى اللغة السنسكريتية أو بعض اللغات الأجنبية عند الحاجة إلى الفاظ جديدة بينما يستمد المسلمون كثيراً من الألفاظ من العربية.وتحتل اللغة الهندية – الأوردية المرتبة الثالثة بين لغات العالم من حيث كثرة المتكلمين بها(١) .

وأثر العربية في اللغة الهندية – الأوردية، واضح جلى لا يخفى على أي قارئ لهذه اللغة أو سامع وذلك أن الدول الإسلامية التي حكمت الهند واتخذت اللغة الفارسية الحديثة لغة رسمية لها، قد فرضت على شبه القارة الهندية هذه اللغة، وسبق أن بينا في الفصل الأول أن الألفاظ العربية تبلغ أكثر من ستين في المائة من ألفاظ الفارسية، وقد انتقلت هذه النسبة إلى اللغة الهندية، في أثناء حكم المسلين لها، والذي امتد منذ عهد الدولة الغزنوية حتى نهاية الدولة المغولية، كما انتقلت إليها من الفارسية، علوم البلاغة والمصطلحات العلمية وأوزان الشعر العربي. لأن الشعر الأوردي ينظم على أصول

(١) المرجع السابق: ١٥٤.

الشعر الفارسي[1] ولأن أدب الأوردية يعد بحق امتداداً لأدب الفارسية لأنه متأثر به إلى أبعد الحدود[2] ولأن اللغة الهندية – الأوردية، واللغة الفارسية من أصل واحد هو الأصل الآري، وهذا ما يفسر لنا وفرة الألفاظ المشتركة التي نشاهدها في لغات الهند والفرس[3]، ولذلك ينبغي الحذر عند القول بتأثر اللغة الهندية – الأوردية باللغة الفارسية لأن كثيراً من الألفاظ ربما يكون من المشترك اللفظي في اللغات الآرية، هذا من حيث تأثير العربية في اللغة الهندية – الأوردية، من طريق الفارسية، أما من حيث التأثير المباشر فقد أثرت العربية في لغات الهند ومنها الهندية – الأوردية، منذ زمن مبكر إذ دخلت العربية شبه القارة الهندية من جهة الشمال الغربي في القرن الأول الهجري وأصبحت العربية لغة تخاطب في بلاد السند (باكستان) منذ القرن الأول الهجري إلى القرن الثامن الهجري ودخلت غرب الهند وجنوبه كما سبق أن قدمنا عند الحديث عن انتشار الإسلام في الهند بل إن العربية كانت موجودة في الهند مع الجاليات العربية التي ازدادت بعد مجيء الإسلام وخاصة التي كانت تقيم في جنوبه وقد بينا فيما سبق أن صاحب كاليكوت قد أسلم منذ أوائل القرن الثالث بل تجاوز أثر العربية للغات الهندية إلى لغات جنوب شرق آسيا مثل أندونسيا والفلبين.

فاللغة العربية قد جاءت إلى شبه القارة الهندية من الشمال الغربي ومن الغرب ومن الجنوب قبل اللغة مجيء اللغة الفارسية مع الدول الإسلامية التي حكمت شبه القارة الهندية ولم يؤثر إلغاء الإنجليز لاستخدام اللغة الفارسية في التقليل من أثر العربية في اللغة

(١) الأدب الإسلامي ٦٦.
(٢) الأسطورة ٦٩.
(٣) الهند القديمة.

الهندية – الأوردية، بل زاد تأثير العربية بعد ذلك لأن اللغة الفارسية الحديثة قد أنشئت في الأصل لتكون بديلاً عن اللغة العربية في المشرق فاللغة العربية قد أثرت في اللغة الهندية – الأوردية قبل الفارسية، ومع الفارسية وبعدها وسيبقى تأثيرها ما بقي مسلم يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولذلك يذهب بعض الدارسين إلى أن المفردات العربية في الأوردية يفوق عددها في الفارسية(١).

لقد دخلت الألفاظ العربية في لغات الهند بحيث أصبحت تكون جزءاً كبيراً من هذه اللغات لا يمكن الاسغناء عنه أو حذفه أو تجريده وليس الأمر مقصوراً على اللغة الهندية – الأوردية بل في جميع لغات الهند المشهورة.

لقد حمل العرب إلى شبه القارة الهندية منذ القرن الأول الهجري الإسلام، واللغة العربية، وأوزن الشعر العربي، والقافية والخط العربي، وكل هذه قد أثرت في اللغة الهندية – الأوردية، يضاف إلى ذلك اعتناء علماء شبه القارة الهندية من المسلمين باللغة العربية وتدريسها والدفاع عنها، إذ أصبحت هذه اللغة مستوطنة في شبة القارة الهندية متجذرة لا يمكن تجريدها، ولذلك قيل : ثلاثة أرباع الكلمات في اللغة الأوردية عربي(٢) ولا تزال تتدفق ألفاظ اللغة العربية إلى اللغة الهندية – الأوردية وخاصة ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمصطلحات التي تخص العلوم الإسلامية من تفسير وفقه وعقيدة.

---

(١) من قضايا اللغة العربية المعاصرة ٢٦١.
(٢) الفصحى لغة القرآن ٦٨.

الخاتمة

لقد توصل هذا البحث إلى نتائج من أهمها ما يلي:

١- لم يمض القرن الأول من الهجرة إلا واللغة العربية لغة التخاطب والتفاهم بين المسلمين، من جبال البرانس في شمال إسبانيا غربا حتى حدود الصين شرقا، واستمرت لغة تخاطب لجميع المسلمين إلى أن أحييت اللغة الفارسية في أوائل القرن الخامس.

٢- نشأت اللغة الفارسية الحديثة، بعد اندثار اللغة الفارسية البهلوية التي كانت موجودة أيام الفتوحات الإسلامية، ولذلك اعتمدت هذه الفارسية على العربية في الألفاظ إذ تكون الألفاظ العربية أكثر من ستين في المائة من ألفاظ الفارسية، كما اعتمدت على العربية في المصطلحات اللغوية والبلاغية واتخذت أوزان الشعر العربي والقافية لتبني عليها أشعارها واتخذت الخط العربي ليكون رسماً لها.

٣- اللغة التركية اعتمدت على اللغة الفارسية المعتمدة على اللغة العربية، وقد دخلتها العربية مباشرة أيام الفتوحات الإسلامية لبلاد الترك، ودخلتها عن طريق الفارسية، ثم عادت إليها مباشرة عندما دخلت البلاد العربية في حكم الدولة العثمانية، وقد نهجت التركية نهج الفارسية في اتخاذ الوزن العربي للشعر والقافية كما أخذت عن العربية مصطلحات العلوم اللغوية والبلاغية والخط العربي حتى عام ١٩٢٨م عندما اتخذت الاتراك

الكتابة اللاتينية وقد بلغت نسبة الألفاظ العربية أكثر من ستين في المائة من ألفاظ اللغة التركية، بل قيل في التركية أيام العثمانيين أن ثلاثة أرباعها من أصل عربي.

٤- دخلت العربية شبه القارة الهندية في وقت مبكر من ظهور الإسلام وقد دخلتها عن طريق الشمال الغربي عندما فتحت بلاد السند ((باكستان)) وعن طريق الغرب والجنوب بل تجاوزتها إلى جنوب شرق آسيا كما دخلتها عن طريق الفارسية التي أصبحت لغة رسمية للدول الإسلامية التي حكمت شبه القارة الهندية، وبقيت العربية لغة تخاطب وتفاهم في بلاد السند ((باكستان)) حتى القرن الثامن الهجري، كما أخذ الهنود عن العربية النحو والبيان والبديع والعروض والقافية، وقد حذت اللغة الهندية - الأوردية في ذلك حذو اللغة الفارسية وقد كثرت الألفاظ العربية في اللغة الهندية - الأوردية حتى قيل أن ثلاثة أرباعها من أصل عربي.

٥- هذه اللغات الثلاث الفارسية والتركية والهندية - الأوردية، من أهم اللغات في البلاد الإسلامية فقد حكم الناطقون بها أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي مثل التركية في أيام العثمانيين والفارسية في أيام المغول والتيموريين إذ أصبحت لغة رسمية للمشرق الإسلامي بأكمله بل تجاوزته إلى أجزاء أخرى من العالم، والهندية - الأوردية في آخر دولة المغول في شبه القارة الهندية، كما أن هذه اللغات من أوسع لغات العالم الإسلامي انتشارا وتعتبر هذه اللغات من أهم المعابر التي عبرت عن طريقها ألفاظ اللغة العربية إلى لغات العالم الأخرى.

٦- إحياء اللغة الفارسية أدى إلى الفصل بين الجماعات العربية، الموجودة في المشرق الإسلامي، وبين العالم العربي، مما جعل هؤلاء يتحولون إلى لغات أخرى، كالتركية والفارسية، ومع ذلك بقي من يتحدث بالعربية حتى سنة ١٩٥٥م في أوزبكستان.

٧- كان المسلمون في القرون الأربعة الأولى من الهجرة يتكلمون لغة واحدة فلما أحييت اللغات المندثرة ترتب على ذلك ضعف المسلمين وانقسامهم.

٨- لقد بذلت جهود كبيرة وأموال طائلة وضيعت أوقات طويلة تمتد عشرات السنين لإحياء اللغات التي اندثرت وكانت النتيجة تفرق المسلمين وانشاء لغات لا هي القديمة التي ماتت ولا هي العربية. ولو بذل شئ من ذلك في سبيل العربية لأصبحت اليوم في آفاق أرحب وأراض أوسع.

٩- لو لم تنشأ اللغات الميتة المندثرة كالفارسية البهلوية التي أحييت باسم الفارسية الحديثة لأصبح مشرق العالم الإسلامي مثل مغربه ولأصبح المسلمون يتكلمون بلغة واحدة هي العربية كما كان أولهم.

١٠- ترتب على إحياء اللغات القديمة واتخاذها لغات رسمية لدول حكمت العالم الإسلامي إلى جهل الناس بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وانتشار الجهل والخرافة بين المسلمين مما عرض الحضارة الإسلامية للسقوط وسلط عليها الأعداء من الشرق كالمغول ومن الغرب كالصليبيين.

١١- اللغة شعار الأمة التي يميزها عن غيرها من الأمم واللغة تابعة للمتكلم بها فإن كان قويا أصبحت قوية وإن كان ضعيفا أصبحت ضعيفة ولذلك تسعى كل أمة لنشر لغتها لأن نشرها يدل على قوتها وإن كانت العربية تمتاز بقوة ذاتية وهذا ما جعلها تقاوم العداوة من أعدائها والجهل من أبنائها، فإذا أضيف إلى القوة الذاتية قوة المتكلم استقام لها الأمر.

فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١- الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية لجراهام بيلي، ترجمة الدكتور حسين مجيب المصري، نشر دار الثقافة بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٢- الأدب الفارسي القديم لباول هورن، ترجمة الدكتور حسين مجيب المصري نشر دار الثقافة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٣- الأسطورة بين العرب والفرس والترك، دراسة مقارنة للدكتور حسين مجيب المصري، نشر دار الثقافة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤- أفغانستان لمحمود شاكر، نشر دار المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الخامسة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م

٥- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، نشر مطبعة السنة المحمدية طبعة ١٣٦٩هـ.

٦- انتشار الإسلام في العالم للدكتور عبدالله مبشر الطرازي، نشر عالم المعرفة بجده، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

٧- إيران لمحمود شاكر، نشر مؤسسة الرسالة – بيروت .

(ب)

٨- البعد الديني للغة العربية وأثرها في التضامن العربي الإسلامي، للدكتور محمد شيخاني، نشر دار قتيبة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(ت)

٩- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، نشر دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٠- تاريخ الأدب التركي، للدكتور حسين مجيب المصري، نشر دار الثقافة بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

١١- تاريخ الحضارة الإسلامية للمستشرق الروسي فاسيلي بارتولد، ترجمة حمزة طاهر نشر دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.

١٢- تاريخ الدولة العباسية للدكتور جمال الدين الشيال، نشر دار الفكر العربي بالقاهرة.

١٣- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم للدكتور أحمد محمود الساداتي نشر مكتبة الأداب بالقاهرة.

١٤- التركستان مساهمات وكفاح للدكتور محمد غني البار – نشر الدار السعودية – جدة الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٥- تركستان الصينية (الشرقية) لمحمود شاكر، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

(ح)

١٦- حركة التعريب في العراق للدكتور أحمد مطلوب - نشر المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم، طبعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٧- حياة قلم لعباس محمود العقاد - نشر دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

(خ)

١٨- خراسان لمحمود شاكر، نشر المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

(د)

١٩- دراسات في اللغة والأدب والحضارة للدكتور محمود الربداوي - نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٠- دراسات لغوية للدكتور حسين نصار، نشر دار الرائد العربي - بيروت طبعة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٢١- دروس اللغة والأدب الفارسي، للدكتور نور الدين آل علي، نشر دار الثقافة بالقاهرة، طبعة ١٩٧٨م.

(ش)

٢٢- الشعوب الإسلامية، الأتراك العثمانيون - الفرس - مسلمو الهند، للدكتور عبد العزيز سليمان نوار، نشر دار النهضة

العربية – بيروت طبعة ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(ع)

٢٣– العالم الإسلامي في العصر العباسي للدكتورين حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، نشر دار الفكر العربي، الطبعة الخامسة.

٢٤– عرب وسط آسيا في أفغانستان، لتوماس ج. بارفيلد، ترجمة محمد ابن عودة السحيمي، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٢٥– العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ليوهان فك، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي بمصر، طبعة ١٤٠٠هـ –١٩٨٠م.

٢٦– علم اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي، نشر دار نهضة مصر – القاهرة الطبعة السابعة.

٢٧– علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي – نشر وكالة المطبوعات – الكويت.

(ف)

٢٨– الفصحى لغة القرآن الكريم لأنوار الجندي، نشر دار الكتاب العربي اللبناني بيروت.

٢٩– فضل الإسلام على الحضارة الإنسانية لشبلي النعماني، ترجمة الدكتور عبدالعزيز عزت عبدالجليل، نشر المكتبة العصرية – بيروت.

٣٠- الفهرست لإبن النديم – نشر دار المعرفة – بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣١- في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، للدكتور محمد عبدالسلام كفافي، نشر دار النهضة العربية – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٢م

٣٢- في اللغة الفارسية وآدابها للدكتور السباعي محمد السباعي – نشر مكتبة للشباب طبعة ١٩٨٧م

(ل)

٣٣- اللغة بين القومية والعالمية للدكتور إبراهيم أنيس – نشر دار المعارف بمصر.

٣٤- اللغة الشاعرة لعباس محمود العقاد – نشر المكتبة العصرية – بيروت.

٣٥- اللغة العربية في العصر الحديث قضايا ومشكلات للدكتور محمود فهمي حجازي نشر دار قباء بالقاهرة – طبعة ١٩٩٨م.

(م)

٣٦- مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي – نشر دار الثقافة بالقاهرة طبعة ١٩٧٨م.

٣٧- المسلمون تحت السيطرة الشيوعية لمحمود شاكر – نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٨- معالم الحضارة الإسلامية للدكتور مصطفى الشكعة – نشر دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٥م

٣٩- المفصل في علم العربية لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، نشر مطبعة دار الجيل، بيروت الطبعة الثانية.

٤٠- من أدب الفرس والترك للدكتور حسين مجيب المصري - نشر دار الثقافة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٤١- من قضايا اللغة العربية نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٩٠م.

(هـ)

٤٢- الهند القديمة حضاراتها ودياناتها للدكتور محمد إسماعيل الندوي نشر دار الشعب بالقاهرة طبعة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

العدد السابع والعشرون ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع ٦٣١٧ / ٢٠٠٧

كلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر
بالزقازيق

مجلة كلية اللغة العربية

علمية - أدبية - محكمة



المتحدون للطباعة ت: ٢٣٠٠٢٧١